المحاضرة الرابعة

بين العبّادي والرازي

في تاريخ تراث العلوم الطبية ومصطلحاتها

للأستاذ الدكتور سامي خلف حمارنة

(السبت ١٤ شعبان ١٤٠٥هـ- ٤ أيار ١٩٨٥م)

الموضــوع

هذه مقالة مختصرة للمقارنة بين الترجمان الطبيب أبي زيد العبادي، والطبيب السريري المعالج أبي بكر الرازي. فيها نجد عاملاً مشتركاً متعدد الجوانب يجمع بينهما، فكلاهما في إطار مركز واضح، هدفه رفع المستوى الطبي، وممارسة المهن الصحية، وإعلاء شأنها إلى أعلى الرتب، وتخصصاتها، وتعاريف أصولها وفروعها، وطرق المعالجة التدبير، وإحياء آدابها ومشتقاتها ومصطلحاتها التي بلغت في زمانهما رتبة عالية، مهنياً وفلسفياً وعلمياً، لتصبح لغة الضاد حينذاك أرقى اللغات في العالم في الأدب والعلوم [1].

وقبل أن أخوض في الحديث عن هذين العملاقين في الطب العربي الإسلامي، منهجاً ومآثر، لا بدّ من كلمة أسوقها، واضعاً النقاط على الحروف، بالنسبة إلى أصالة علماء المسلمين وأطبائهم، معطياً الحق لمن له الحق عرفاناً بالجميل. فهناك كثيرون ممن صرَّحوا في مناسبات عدة، متجرئين وبإلحاح، بأن الأغلبية الساحقة من العلماء والأطباء في الإسلام هم من الفرس والأتراك وغيرهم، ممن ليسوا من أصل عربي، فنجيب بأن مثل هذا القول لا يثبته الواقع. ومع أنه تحت راية الإسلام لم يكن هناك فرق بين عربي وأعجمي، إلا أن الحقيقة التاريخية الأكيدة تثبت أن أعاظم علماء العرب والمسلمين الكثيرين جداً، هم من أصل عربي عريق، في شتى

(١) منذ أواخر القرن الثاني الهجري كانت العربية، لغة القرآن الكريم، اللغة الرسمية في الآداب والعلوم والمعارف عامة كما شهد بذلك كثير من الأفاضل شرقاً وغرباً. ومن الأمثلة الناضعة ما قاله أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، كتاب الصيدنة في الطب، تحقيق الحكيم محمد سعيد ومن معه، كراتشي، باكستان، مؤسسة همدرد الوطنية، ١٩٧٣، ج١: ٥-١٨: ج٢: ٢٣-٣٧.

العلوم والفنون، وأنه في العلوم الطبية ووحدها هناك مئات من خيرة الأطباء الممارسين والمصنفين الأفذاذ هم من العرب: أمثال الكندي، فيلسوف العرب واللبدي وأبي عبدالله التميمي المقدسي، وعمار بن علي الموصلي، وابن الهيئم، وأمين الدولة ابن التلميذ، وابن العين زربي، وأبي القاسم الزهراوي، وابن عريب، وأبناء زهر الأيادي، وابن رشد، وأحمد الغافقي، والشريف الادريسي، وابن الجزار القيرواني، وابن رضوان المصري ، واسحق بن عمران، وابن بطلان البغدادي، وعبدالرحيم الدخوار، وعبد اللطيف البغدادي، وابن قاضي بعلبك، وضياء الدين بن البيطار، وابن القف الكركي، وابن النفيس، وداود الانطاكي، وصالح بن سلوم الحلبي وغيرهم [٢].

سيرة العبادي:- هو أبو زيد حنين بن إسحق العبادي؛ عربي أصيل المحتد، أسلافه من بني تنوخ، أبناء لحم وتميم وقبائل شتى من بطون العرب، سكنوا في قصورٍ بنوها في ظاهر مدينة الحيرة، قصبة اللخميين، وعاصمة دولتهم في العراق (قرب خرائب بابل القديمة، وجنوب الكوفة بعد تأسيسها)، فيها تزاحم الشعراء والنبلاء وأكابر القوم، مثل حنظلة بن طيّ، وعدي بن زيد العبادي (المتوفى عام ٥٨٧م)، والملكة هند أم عمرو (نحو عام ٥٥٠م)، والنعمان الثالث بن المنذر بن ماء السماء، ملك اللخميين (٥٨٠-٦٠٢م). ولكن من المؤسف أن اختلاف العرب آنذاك، وحروبهم قبيلة ضد أُخرى، هي التي فرقت صفوفهم، فقوي الفرس عليهم كما حديث للنعمان هذا، الذي خلعه كسرى تعسفاً وظلماً وسجنه في المدائن.

---

(٢) هاشم يحيى الملاح، "النشاط الفكري- في العراق في التاريخ"، بغداد، ١٩٨٣ ص٣٥٣-٦٢، والدكتور صالح أحمد العلي، "بغداد في أوج تألقها"، المرجع السابق نفسه، ص٣٩٧-٤٠٢.

كان أبو العبادي صيدلياً متمرناً من أهل الحيرة، فأراد لابنه حنين أحسن مناهج العلم وأفضل أساليب التربية والتحضير، ودخل بغداد، مدينة الحضارة والفكر المستنير في عصر الخليفة المأمون، فتتلمذ على الحكيم يحيى بن ماسويه، طبيب البلاد العباسي، ولكن حدثت بين الأستاذ وتلميذه مشادة حادة، على أثرها ترك العبادي مكان الدرس غاضباً آسفاً، وتحول على أثر ذلك لطلب المزيد من الخبرة والتمرين في العلوم والترجمات، متنقلاً من بلدة إلى أخرى، حتى أتقن الكثير من المعارف واللغات. وقد اشْتَهَرَ أولاً باللغتين السريانية والعربية وبعض الفارسية، كما نَبَغَ في لغة الإغريق وعلومهم وآدابهم ومشتقاتهم، ودَرَسَ المخطوطات والتراث الحضاري اليوناني والبيزنطي، فتألق نجمه واشتهر أمره، فدخل في خدمة الطبيب النطاسي جبريل بن بختيشوع. وقبيل أن يبلغ العشرين من عمره ابتدأ بترجمة كتب وجوامع أبقراط وجالينوس. ثم عيّنه الخليفة المأمون، في آخر أيامه، ترجماناً في بيت الحكمة، حتى صار لها عميداً ورئيساً. فوضع له المعتصم الواثق كُتَاباً ماهرين يعملون معه، ويساعدونه في الترجمة والنقل والتصنيف والتأليف فغَدَت معهم دار الحكمة مدرسة ناهضة ناشطة. ومن خيرة المشاركين معه نذكر إصطعن بن بسيل، ويحيى بن هارون، وعيسى بن يحيى بن إبراهيم، وموسى بن خالد، وأبا حفص عمر بن الفرخان الطبري، وعيسى بن علي، وأبا عثمان سعيد بن يعقوب، وابن العبادي أبا يعقوب إسحق بن حنين، وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي، وغيرهم(٣). فازدهر بهم بيت الحكمة وعظم شأناً واعتباراً، فارتَفَعَتْ راية العلم والعرفان عالية، وأشرقَت الحضارة الطيبة في الخافقين بكل

(٣) أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، الفهرست، القاهرة، مطبعة الاستقامة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ص٣٥٣-٥٧، ٣٧١، ٣٨٣، ٣٩٢-٣، ٤١١-٢٩، وسعيد الديوه جي، بيت الحكمة، الموصل، دار الكتب للطاعة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٧٢م، ص٥-٢٨.

فروعها وتخصصاتها. وفيه يقول مؤرخو الطب العربي ما يُفيد بأن العبادي قد أوضح معاني كتب أبقراط (منذ ٤٠٠ ق.م.)، وجالينوس في القرن الثاني الميلادي، ولَخَّصها أحسن التلخيص، ولم يزل أمره يقوى وعلمه يتزايد وفضله يظهر، حتى صار ينبوعاً للمعرفة، ومعدناً للفضائل، وقد ازداد خبرة في الترجمة على الطريقة المنهجية الصحيحة، بخلاف من اتصفوا بالنقل الحرفي المتقيد – حتى إلى زمننا هذا– مثل يحيى بن البطريق في مطلع القرن الثالث الهجري، فقد أظهر الفرق بين عقم نقل ابن البطريق وبديع ترجمات العبادي وجودة إدائها مؤرخ الأطباء ابن أبي أُصيبعة الخزرجي قائلاً:"كالفرق بين البليغ والألكن، وكبعد الثريا عن الثرى" [٤].

وقد سأل الخليفة الواثق بن المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢م) العبادي رأيه في الغذاء، والدواء المسهل، وحسن التغذية، وآلات الجسد، فأحسن الجواب. وحين أراد العبادي أن يترجم كتاب البرهان لجالينوس من الإغريقية، بحث باجتهاد عن مخطوطاته، وجابَ الآفاق طالباً منها أحسنها لنقلها إلى العربية، حتى ظفر بنسخة جيدة منها في دمشق، فقام بنقلها. أما كتاب الفرق بين المذاهب الفلسفية والطبية زمن الإغريق والرومان، فقد نقله العبادي وأهداه إلى استاذه يحيى بن ماسويه بعد أن أقرّ بعذره واسترضاه فتصادقا، حتى أن المعلم، ابن ماسويه، أهدى إليه كتاب النوادر الطبيّة، وفيه يعتذر مؤكداً له الودّ والإحسان[٥].

---

(٤) جمال الدين علي بن القاضي الأشرف يوسف ا لقفطي، تاريخ الحكماء، طبعة ليبزج، ١٩٠٣، ص ١٧١-٧؛ وأبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي بن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، طبعة بولاق، ١٨٨٠م ص١ :١٨٤-١٨٩.

(٥) المرجع السابق نفسه، ج١: ١٨١-٣، لويس شيخو، علماء النصرانية في الإسلام، طبعة ١٩٨٣، ص ٢١٠-١٢، وبولس سباط، النوادر الطبية، القاهرة، ١٩٣٤ (تحقيق).

وحدث أن وقعت في زمن الخليفة المتوكل، أخي الواثق، دسيسة من مبغضي العبادي وحُسَّاده، فلحق به من أعدائه هؤلاء الكافرين بنعمته مِحَنٌ وشرور ومصائب منعته من النوم، وأشغلته عن التصنيف والعمل المجدي. وفي ذلك أنْشَدَ قائلاً:

أن يحسدوني فأن غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

وقيل أن الخليفة طلب منه ان يُعِدّ دواءً ساماً ضد عدوٍ له، ليمتحنه، فأجاب العبادي:"ما تَعَلَّمْتُ غير استعمال الأدوية النافعة، ولا علمْتُ أن أمير المؤمنين يَطلب مني غيرها". فَسَجنه زمناً ثم أطلقه لمرضٍ ومحنة صحية أصابت الخليفة، وعلي يده نال الشفاء. وإذ سُئِلَ عن سبب إبائه، رغم أن الخليفة كاد يوقع به أشدّ العقاب، أجاب ما مَعْنَاه: مَنَعني أمران: أولاً الدين ومكارم الأخلاق، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثانياً، عهد المهنة والميثاق، فقد جُعل في رقاب الأطباء عهد مؤكد بإيمان مغلظة، بوجوب العمل الصالح المسؤول في ممارسة الصناعة الطبية قَصْد نَفْع المرضى وإسعافهم وبرئهم، وبأن لا يعطوا دواءً قتالاً أو مُجْهضاً، وكتمان سر المرضي حتى عن الأهل، وبأن لا يقوموا بما يضرّ أو يشين. فَلَم أرَ أن أخالف هذين الأمرين، فانظروا إلى نتيجة الإخلاص في الدين الصحيح والعلم المستنير؛ وما أحلى وأسنى جناهما! وفي هذا ينطق العبادي بمثَله، "من خافَ سُقاوة الدنيا، ما اكْتَسَبَ سعادة العقبى".

كتاب إحكام الإعراب:-

أما العبادي فبالإضافة إلى كونه مترجماً ناجحاً، فإنه قد وضَع أيضاً أساساً متيناً للعلوم الصحية في الإسلام، بأصولها وفروعها، ولم يسبق أحد قبله بهذا الشمول والإتقان، مع الإحاطة بآداب هذه العلوم ومفرداتها ومشتقاتها

ومصطلحاتها، لتصبح العربية، لغة القرآن الكريم، بفضله وفضل كثيرين من الرواد المجدين والعلماء المؤمنين، اللغة الأكثر رقياً وإبداعاً واتساعاً وإتقاناً في العلوم والفنون والمعارف الإنسانية الإيجابية في العالم آنذاك. وقد وضع العبادي في هذا كتاب **(إحكام الإعراب على مذهب اليونان)**، وقد ذكره المؤرخون بتقدير وتجلة. ولكن الكتاب مع الأسف فُقِدَ من ذلك الزمن، لعدم وجود من يتقن اللغة بعده ويبعأ بنحوها وصرفها، فضاع هذا القاموس النفيس للمصطلحات الطبية والفلسفية الهامة [٦]. وكان العبادي أيضاً كحالاً ماهراً في طب العين ممارسة وتعليماً. وخير مثل نسوقه، كتابه "**عشر مقالات في هيئة العين وتشريحها وأمراضها ومعالجتها**"، بالإشتراك مع ابن أُخته حُبَيْش بن الحسن الأعسم الدمشقي. ولأول مرة وَضَع رسوماً لتشريح العين، لوحات تُعْتبر الأولى من نوعها في العالم .كما أن نص الكتاب نفسه هو الأول أيضاً في علوم العين، وتنسيق مهنة الكحالة، وشرح محتوياتها كحدث مشهور بالغ الأثر في تاريخ العلوم الطبية العينية المتخصصة. وقد أحدث ضجة كبرى في عالم الجراحة وطب العيون حتى هذا القرن. وقد قام بتحقيق هذا الكتاب، مع تقديم الشروح والتوضيحات في أكثر من لغة، أطباء وكُتّاب أفذاذ منذ أواخر العشرينات في عصرنا. مما جعل فضل العرب في طب العيون وغيرها من هذه التخصصات الطبية ظاهراً وأكد كونهم رواداً سباقين في

---

(٦) **رسالة حنين العبادي إلى علي بن يحي المنجم**، نشرق، براجستراسر، طبع ليبزج، ١٩٢٥، فيما ذكر مما ترجم من كتب جالينوس إلى السريانية والعربية وما لم يترجم (مخطوط آيا صوفيا رقم ٣٦٣١)؛ ابن النديم، الفهرست، ص٤٢٣-٤؛ الموسوعة الإسلامية (ليدن -بريل ج٣: ٥٧٨-٨١، طبع ١٩٧١)، ولوسيان لكلرك، تاريخ الطب العربي، باريز، ١٨٧٦ (بالفرنسية)، ج١: ١٣٩-٥٢، وجورج سارتون، المقدمة، ج١: ٦١١.

هذا المضمار لعدة قرون، باعتراف المنصفين من مؤرخي الأطباء الأفاضل في الأصل والترجمات اللاتينية وغيرها، والمداوة في التعليم والممارسة العملية [٧].

وفي مكتبة الاسكوريال، بقرب العاصمة الإسبانية، قمت عام ١٩٦٤م بفحص مخطوط رقمه ٨٥٢(٢) ورقات ٤١-٦٨، تحت عنوان **(في معرفة المعدة وأوجاعها)** في مقالتين، تأليف العبادي، تَمّ نسخها عام ٥٧٥هـ (١١٧٩م)، تبحث في أوجاع المعدة والجهاز الهضمي، وأسباب المرض والعلاج [٨].

الصحة السنية وسلامتها:-٠

وفي العام نفسه (صيف ١٩٦٤) في زيارتي التي استغرقت خمسة أسابيع للمكتبة الظاهرية بدمشق، وجَدْتُ مخطوطاً (رقم ٤٥١٦، حمارنة رقم ٦ ط) وعنوانه **(قَوْل في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها)**. وبعد فحصها تأكدت من أنها أول مقالة في هذا الباب بالعربية تاريخياً وعالمياً. واعتقدتُ في ذلك الحين أنها فريدة في المكتبات المعروفة، على أني سمعت عن العثور مؤخراً على نسخة أخرى منها لم أعرف هويتها بعد. أما مخطوطة الظاهرية هذه (محفوظة حالياً في مكتبة الأسد بدمشق)، قد تمّ نسخها على يد الطبيب عبدالسلام بن عثمان، في

---

(٧) ماكس مايرهوف، "**عشر مقالات في العين**" لحنين بن إسحق، طبع القارهة، ١٩٢٨، ج جابرييلي، "حنين بن إسحق"، مجلة ايزيس، ج٦ (١٩٢٤)، ص٢٨٢-٩٢ وسامي حمارنة، **فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية، القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٧٥ ص٣٥-٤٠ (بالإنكليزية)، ووائل خوري، "العشر مقالات في العين"، مجلة الكمال، آذار ١٩٨٠، ج١: ١٢٩-١٩٦.**

(٨) مخطوط الاسكوريال رقم ٨٥٢ (٢) ق ق ٤١-٦٨، وفؤاد سزجين، تاريخ المخطوطات العربي، ج٣ (١٩٧٠)، ليدن، بريل، ص٢٤٩-٥٦، ونشأت حمارنة، تاريخ طب العيون، تونس، ١٩٨١، م. أولمان . الطب الإسلامي، ليدن، ١٩٧٠، ص١١٥-٢٢، ٢١٩، ٣٠٥، وشيخو، علماء، ١٩٨٣، ص١٥٢-١٥٦.

مستهل جمادى الآخرة عام ٦٧٥هـ (١٢٧٧م)، وتقع في ١٣ ورقة. بخط نَسْخ كبير الحرف قليل النقط، فيكون ذكر العبادي وطبيب الأسنان عبدالسلام هذا وغيره من رواد هذه المهنة الشريفة، والعاملين على رفع مستواها، وإدراك قيمتها حق الإدراك، في خدمة الصحة السنيّة، ونظافة الأسنان واللثة، والمحافظة على سلامتها، كما نرى من خلال ما احتوته هذه المقالة من فائدة كسابقة فريدة في طب الأسنان. إذ فيها يقول المؤلف إن أول ما ينبغي أن يجتنبه من أراد أن تبقى له سلامة أسنانه بإذن الله، فساد الطعام والشراب والتعفّن في المعدة، وما لا يتفق مع مزاج الإنسان واحتماله، ولا سيّما النوع القوي من طعام أو شراب على معدة ضعيفة، وتعاطي الطعام في غير موعده، متقدماً أو متأخراً، والحذر من الإلحاح أو الإكثار على استعمال القيء (الأمر الذي كان منتشراً في العصور القديمة والوسيطة كأداة للعلاج)، وتجنب إدمان مضغ الأشياء العلكة، كالناطف من الحلوى والمعاجين، أو كَسْر الأشياء الصلبة التي ربّما تزعج أصول الأسنان والأضراس، وتحدث لها الحركة أو القلع أو كَسْر شظايا منها، والإفراط بتناول ما هو شديد البرودة أو الحرارة، ووجوب تنظيف الأسنان من بقايا الفضلات من دون نكثها بالخلال الضار بها، واللجوء إلى السواك والسنونات القابضة المجففة المعتدلة والمقوية للأسنان واللثة، والعمل على سلامة صحة الأسنان والفم، مع التحذير من استعمال ما هو ضار، مثل البنج والأفيون واليبروج (وهو اللفاح المعروف بسراج القطرب أو تفاح المجانين)، ما لم تكن ثمة ضرورة قصوى لاستعمالها [٩].

(٩) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية – الطب والصيدلة، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩، حمص ٢٢٧–٣٠ تحت رقم ٦ ط، وسزجين، مخطوطات، ٣: ٢٥٣، وابن النديم، الفهرست، القاهرة، ص٤٢٤ تحت كتاب الأسنان واللثة، مقالة.

وفي موضوع كثير الارتباط بما سبق، فإن العبادي صَنَّف كتاباً في الأغذية، ذكر في مقدمته أنّه جَمَع في هذا الكتاب "للأمير أدام الله عزه وأكرامه" كل ما يحتاج إلى معرفته من أمر الأغذية، مما قاله القدماء، مثل ابقراط وديسقوريديس وروفس وجالينوس وغيرهم من أفاضل الأطباء، حول وصف ما يولّد من الأغذية في البدن من دمٍ جيد، أو ما يولّد منه من أخلاط رديئة، والتدبير الملطّف لحفظ الصحة، في ثلاث مقالات تبحث في البزور والثمار وأنواع النبات وأجزاء الحيوان الغذائية، وكان بودّ المؤلِّف أن يقتصر في هذا الكتاب على ذكر ما يستعمله المسلمون من الأغذية، مسقطاً ذكر القدماء غيرها مما كان اليونان يستعملونه، ولكنه عدل عن ذلك لعدم استيفاء معاني القدماء في مراتب الأغذية، فاكتفى بذكر ما هو منها نافع أو ضار، جيّد أو مغشوش، سريع الهضم أو بطيئه، وما يلين البطن أو يحبسه من الأغذية التي اختبرت بالتربة، وصارت معروفة نافعة [١٠].

المسائل في الطب:-

إن مآثر العبادي في الترجمة والتأليف، كمبتكر ذي رؤية صائبة (ونقول دقيقة) مع الملاحظة الفاحصة، جعلته بين بناة الحضارة العربية الطبية. فقد بدأت هذه الحضارة بمدرسته ومعاصريه، واكتملت في القرن الهجري الرابع، في الرازي وابن أبي الأشعث والمجوسي والزهراوي. أما أهم كتبه وأوسعها انتشاراً، شرقاً

(١٠) كتاب الأغذية لحنين بن إسحق العبادي، رقم مخطوط ٣١٤٣ (١) ق ق ١-١٠٩ ضمن مجموعة، محفوظ في مكتبة خدا بخش، بتنه، الهند بخط نسخ جميل ومشكول من القرن الثامن الهجري في ١٨ سطراً للصفحة، المقياس ١١-١٨ سم ناقص من آخره (المقالة الثالثة).

وغرباً، والذي جَعَلَهُ بجدارة يحتلّ مركزاً مرموقاً في مصاف الأطباء الأفاضل، من واضعي العلوم الطبية بأهم فروعها الأساسية عند العرب والمسلمين قاطبة، في نظرياتها وفلسفتها وأهدافها الثقافية واصطلاحاتها العلمية لعدة قرون، فهو كتابه: **(المسائل في الطب للمتعلمين على طريقة المسألة والجواب)**. وهو يعتبر مدخلاً إلى الصناعة الطبية علمياً وعملياً، وقد جمع فيه جملاً وجوامع تجرى مجرى المبادئ الأوائل لهذا العلم (أكمله حبيش الدمشقي، ابن اخته كما سبق).

ومنذ أكثر من ربع قرن من الزمن كان يؤدي الكتابة عن العبادي، ومآثره الجمة في المهن الصحية، وكتبه في طب العين، وطب الأسنان، والتغذية، ولا سيّما كتاب المسائل هذا بشكل جامع شامل ومستقل، ولم تسمح لي الظروف بعد. على أني عرضتُ مع بعض التفاصيل بالعربية وبالإنكليزية اقتباسات وشروحاً ضمن حديث حول تطوّر الطب والصيدنة عند العرب والمسلمين، في كتب ومقالات متفرقة [١١]. وفي السبعينات اقترحت على زملاء أفاضل تحقيق **كتاب المسائل**، مع مقدمة ضافية وشروح وافية وفهارس متكاملة، وأوضحت لهم أهمية العمل، وطرق الحصول على صور شمسية لبعض المخطوطات، وعملتُ جاهداً دون مقابل، بل أنفقت شيئاً ليس بقليل لتمويل هذا المشروع والاشراف عليه، فقاموا بعمل مشكور في تحقيقه ونشره عام ١٩٧٨. وبسبب مشاكل النشر وصعوبة الاتصالات، لم يذكر شيء من هذا في التحقيق [١٢]. وإني لأعذرهم بسبب تعقّد

---

(١١) فهرس دار الكتب الظاهرية، ١٩٦٩، دمشق، ص٥٨-٨٥، وحمارنة، **تاريخ الصيدلة عن العرب**، مجلة فايس، رومة، ايطاليا (بالإنكليزية)، ص٥-٥٤، والدكتور علي عبدالله الدفاع، إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، تصدير، ص١١-٣٥.

(١٢) **المسائل في الطب للمتعلمين**، لحنين بن إسحق، تحقيق: محمد علي أبو ريان، ومرسي محمد عرب، وجلال محمد موسى، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٨ والترجمة بالإنكليزية بقلم د. بول غليونجي، القاهرة، الهلال، ١٩٨٠.

الظروف والملابسات التي حدثت. ولكن ما تزال الحاجة ماسة إلى المزيد من الشرح التقييم. وقد قام صديقي وزميلي الدكتور يوسف حبي بالواجب خير قيام، ولا سيّما وهو عارف بالسريانية ولغات أساسية للبحث والاستقراء، فأجاد مشكوراً [١٣]. ولا يسعني هنا إلا أن أذكر النواحي التقنية في التعريفات الطبية والصيدلانية، والنظريات العلمية التي سادت ممارسة الصناعة الطبية طيلة العصور الوسطى، وإلى ما بعد عصر البعث الأوروبي، فأقول: إن العبادي في **المسائل** قَسَمَ الطب إلى جزأين: النظري والعملي، فجعل النظري في ثلاثة أقسام، تعتمد في أصولها على النظريات الطبية الإغريقية:

أولاً: في الأمور الطبيعية، وقد وضعها في سبعة أقسام:-

١- الأصول أو الأركان وهي أربعة: النار والماء والهواء والتراث؛ واعتبر، كما جاء في كتابات أبقراط وجالينوس، أن النار حارّة يابسة، وأن الهواء حارّ رطب والماء بارد رطب، والتراب أو الأرض بارد يابس، وإنه هو الأساس في الكون، مع كيفياته في أحوال بدن الإنسان.

٢- الأمزجة، وهي ثمانية غير معتدلة وواحدة معتدلة في تمام الصحة.

٣- الأخلاط، وهي أربعة: الدم، حار رطب، البلغم، بارد رطب، والمرة السوداء باردة يابسة، والصفراء، حارة يابسة، تشكّل السوائل في البدن وفي اعتدالها تكون العافية.

---

(١٣) يوسف حبي، **حنين بن إسحق العبادي**، الموصل- بغداد، ١٩٧٤، ص٥-٢٥، وفؤاد سزكين، مرجع سابق نفسه، ٢٤٧-٥٢، وماكس مايرهوف، "حول حنين"، مجلة ايزيس، ج٨ (١٩٢٦) ص ٦٨٥-٧٢٤.

٤- الأعضاء، وهي قسمان، رئيسية كالدماغ ويخدمه العصب، والقلب وتخدمه العروق الضوارب (الشرايين)، والكبد وتخدمه العروق غير الضوارب (الأوردة)، والأنيثين، أوعية المني في الجهاز التناسلي، وأما غير الرئيسية فهي العظام، والأغشية، والغضاريف، والعضلات وغيرها.

٥- القوى، وهي إما خادمة جاذبة، وماسكة، وهاضمة، ودافعة؛ وإما مخدومة، مولّدة، ومربية وغازية. وهذه القوى إما حيوانية فاعلة ومنفعلة، وإما نفسانية مدبّرة ومحرّكة؛ أو هي طبيعية مركزها الكبد، وتبعث الحيوية في البدن بإرادة أو بغير إرادة.

٦- الإفعال، ومنها بسيطة كالعمل جذباً أو دفعاً، أو مركّبة، كالشهوة ونفوذ الغذاء.

٧- الأرواح وهي بدورها طبيعية تتسرّب من الأوردة، أو حيوانية من الشرايين، ومرتبطة بالهواء والروح، أو نفسانية في الدماغ. وتنفذ من الأعصاب إلى جميع البدن.

ثانياً: العلم في الأمور التي ليست بطبعية، كالأمراض، والأسباب، والدلائل، وتقدمه المعرفة، والأعراض، وأجناسها وأصنافها، جوهرية كانت أم عرضية، وحالات الصحة والمرض وما بينهما، والمعالجة.

ثالثاً: العلم بالأمور الخارجة عن الأمر الطبيعي، وهي ما لَخَّصَه جالينوس باعتبار الأسباب المشتركة أو العامة، الرئيسية والأساسية، والتي إذا قُدِّرَتْ بالمقدار الذي ينبغي كمّاً وكيفاً، وفي الوقت والترتيب المناسب، حَفظَتْ الصحة وأثمرت السعادة، وإذا استعملت بما هو ضد ذلك، أحْدَثَتْ المرض، وهي أسباب ستة:-

١- الهواء المحيط بأبدان الناس، وفي ذلك إشارة للاهتمام بمنع تلوث الهواء والبيئة، والحيطة في إصلاح وتكييف الظروف اللازمة لتنفس الهواء النقي المنعش.

٢- ما يؤكل ويشرب؛ في العناية بحسن التغذية وتنويعها كيفاً وكماً، وحسب المواعيد المناسبة والترتيب الأفضل.

٣- الحركة والسكون، ليكون النشاط متوافراً بالتمارين الرياضية، والعمل المجدي المنسق، بدنياً وفكرياً، والاعتدال لسلامة الجسم.

٤- النوم واليقظة، وما يتطلبه ذلك من التزام المحافظة على قوانينهما، وترتيب مواعيدهما وانتظامها لئلا يختل توازنهما فيغلب فيهما السَّهَرُ والتعب، أو يكثر الخمول والبلادة، فتسبب العلل. فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى. ومراعاة المرء لحاجته من النوم والراحة والسكينة، ليستعيد النشاط والحيوية وتكامل النمو جسمياً وعقلياً، أو أن لا يكثر من السهر والارهاق وزيادة التيقظ، حالات كانت وما تزال تقلق أفكار الأطباء والمربين، في عالم كثرت همومه وانشغالاته، وكثر الإسراف في التطرف، مما لا تحمد عقباه.

٥- الاستفراغات واللجوء إلى الإحتقانات، مما يتطلب تقنين استعمال المسهلات والمقيئات، والفصد وأنوع الحقن، وحتى لا تكون ثمة إساءة في الإسراف بممارسات خاطئة وضارة صحياً.

٦- الأحداث النفسية المرهونة غالباً بالصحة النفسية وطب الروح، ليبقى الإنسان صحيحاً جسماً ونفساً، إذ إن الاعتدال فيها يُضفي على الحياة كلها رونقاً وحيوية وانتعاشاً إذا أحسن، أو أتعاباً وأحزاناً وانحلالاً إذا

أسـاء: فـي الأولـى انفتـاح نحـو مـا يسـبب الفـرح والانشـراح والأنـس والحبـور، وفـي الأخـرى مـا يـورث الهـم والغـم والبـؤوس والقنـوط. هـذه الأمور والأسباب، ومزاولتها يوماً بعد يوم، مما يجدر الانتباه لـه والعمل بموجبه، ليبقى المرء صحيحاً معافى نفسه وجمسه [١٤].

أما القسم العملي من كتاب المسائل فيشمل ثلاثة أمور:-

١- الأدوية والأغذية، البسيطة منها والمركبة، ومعرفة الجيد من المغشوش، وقوانينها وقواها وتأثيراتها صحياً، والمقادير والاستعمالات، ولا سيّما مع مراعاة التجربة، بحيث يكون الدواء مثلاً، خالياً من أي كيفية مكتسبة في بدن الإنسان، في علة منفردة أو مجتمعة، والقوى الموازية لقوة المرض، والنفع المرتجى في الزمان والمكان، وأهمية الاستمرار في التجربة للحصول على القصد واليقين لعلاج المرضى، واستعادتهم الشفاء، أو حفظ صحتهم. وقد استعمل العرب الكثير من المفردات الطبية، واكتشفوا البعض الآخر، مما صار معروفاً شائعاً في جميع الأقطار الإسلامية، مثل: النعنع، الكافور، وتمر العرعر، والزعفران، واليانسون، واللبان والصندل (النمّام)، وصمغ الصنوبر، والحلبة، وغيرها من المفردات الطبيعية المفيدة التي يحسن استعمالها في عصرنا هذا للنفع الصميم.

٢- وسبق أن أشرنا إلى علم الأمراض الطبيعية، والخارجة عن المجرى الطبيعي وأسبابها (جوهرية وعرضة) ودلائلها (بالنسبة للطبيب) وأعراضها (بالنسبة

---

(١٤) المسائل في الطب للمتعلمين، لحنين العبادي، قمت بفحص عدة مخطوطات في مكتبات: غوتا بالمانيا الشرقية، رقم ٢٠٢٣ في ٥٥ ق، والقاهرة، ولندن وأكسفورد مارش ٤٠٣ واسطنبول، فاتح ٣٦٢٢ في ٩٠ ق+ ٣٦٢٣ في ٦٩ ق نقل ٦٧٧ هـ واكسفورد أيضاً مارش رقم ١٦ نيكول ١٩٥ في ١٩٧ ق، والاسكوريال رقم ٨٥٣ في ٦٤ق بخط مغربي مشكل وغيرها، وانظر فهرس مخطوطات المكتبة البريطانية (مرجع سابق)، ١٩٧٥ ص٣٧-٤٠.

للمريض) ومعالجتها، وذكر التغيرات الوظيفية المؤدية إلى الحالة المرضية (أي فيما يدل على الصحة والمرض).

٣- العمل باليد، وأول من أطلق على هذا الاصطلاح تعبير المعالجة بالجراحة)، هو الطبيب موفق الدين أبو نصر عدنان بن العين زربي، بالقاهرة، في كتابه **(الكافي في الطب)** (بالنصف الأول من القرن السادس الهجري).

أما حول أوزان الأدوية ومقاديرها فيقول مؤلف **المسائل**، إنه إن كان الدواء المفرد شديد القوة يلقى منه اليسير، وإن كان الدواء المفرد ضعيف القوة، فمقداره باستعماله إمّا وحده وإما مركّباً مع أدوية أخرى، يكون كثيراً، ليُستدرك بالزيادة في مقداره ما يدخله من النقصان. وينبغي أن يلقى من الدواء الكثير المنافع مقدار كثير ليستدرك بزيادة مقداره بلوغ الأرب، والقليل المنفعة يُعطى قليل منه. ثم إن كان المرض قوي الحرارة، فيُداوي بأدوية شديدة البرودة، وإن كان قليل الحرارة فبأدوية قليلة البرودة.

وهناك دستوران يُرشدُ العبادي إليهما، ليُعمل بهما في مقدار ما يلقى من الأدوية المفردة في حالة تحضير الأدوية المركبة، لما لهما من الأهمية والضرورة : أولهما، الغرض الذي له يُتَّخذ ذلك الدواء المركب والذي يعدّه الصيدلاني، وثانيهما، ما يستحقه من الاهتمام كل واحد من المفردات التي تدخل وتؤلف ذلك الدواء المركب، بما في ذلك طريقة العمل والتحضير المتقن. أما الأسباب التي من أجلها احتاج الأطباء والصيادلة إلى تأليف الأدوية المركّبة، واتخاذها بهذا الشكل، فيعود إلى ما يلي:-

أولاً، اختلاف حالات البدن الجارية على غير الأمر الطبيعي، ثانياً، إختلاف جهات استعمال تلك الأدوية. ثالثاً، إصلاح ما لا يخلو منه كثير من المفردات من الكيفيات البشعة الكريهة الرائحة. رابعاً، الحاجة إلى كسر قوة الدواء الضار إذا كان

شديد القوّة. خامساً، مقاومة العلل التي يُحتاج فيها إلى أدوية تجتمع فيها قوى متضادّة، وسادساً وأخيراً، كي يتهيأ للطبيب، واصف العلاج، أكثر من دواء واحد حتى يستعين بها عند بوادر وجود أكثر من علّة قد تداهم ولم يستعد لها، يجب إضافة مفردات أخرى نافعة؛ وهذه أسباب يقرها علم الأدوية الحديث، سبقنا إليها العبادي ولخصها وشرحها قبل أكثر من ألف عام. وهذا مما يؤكد لنا أهمية إحياء التراث العربي وتحقيقه، ليتسنى لنا في هذا الزمن تقييم هذا التراث المجيد وتقديره حق قدره، ولا سيّما أن هذه هي "جذورنا" وآثارنا التي تدل بأفصح العبارات على أهميتها العظيمة، كما نجد ذلك في المقابلة اللاحقة حول من تبع العبادي ومعاصريه، وفي مآثر الطبيب أبي بكر محمد الرازي ومعاصريه أيضاً، الذين أسسوا ما نسميه بحق "الطب العربي" [١٥].

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي:-

إن أوثق ما وصل إلينا من تقارير أصيلة ومعلومة مؤكدة، حول سيرة حياة الرازي الشخصية وأعماله، في تَسَلْسُل تاريخي مُنَسَّق، هو ما جاء بقلم العلامة المسلم الأجَلّ، أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (المولود في ضاحية خوارزم عام ٣٦٢هـ/٩٧٣م، والمتوفى بعاصمة الغزنويين، افغانستان اليوم عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م) [١٦]. وكان ذلك في رسالته، **(في فهرست كتب محمد الرازي)** لسرد مآثره وأعماله

---

(١٥) **فهرس مخطوطات دار الكتب العربية المتعلقة بالطب والصيدلة**، من سلسلة مطبوعات حول تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، القاهرة، دار المحاسن، ١٩٦٧ ص١٥-١٩، **ومقدمة في الصيدلة والعلاج في الشرق الأدني**، طوكيو، اليابان، ١٩٧٣ (بالإنكليزية)، ص٣٣-٤٠.

(١٦) **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية**، مرجع سابق، ١٩٦٩، دمشق، ص١٠٤-١٢٧، وابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢: ٢٠-٢١ ؛ أ. بي، علي، البيروني في الهند، الحضارة الإسلامية، ج١ (١٩٢٧)، ٣١-٣٥ ،٢٢٢-٣٠ وكارل بروكلمن، مخطوطات الأدب العربي، ليدن، ج١ _١٩٤٣)

وكشَّاف كتبه، والإحاطة بزمانه، والإطلاع على كمية ما صَنّفه من كتب، وأسمائها، ليتطرق بذلك إلى طلبها؛ وما تحقق له من ذكاء قريحة، ووفرة فطنة وبلوغُهُ من الصناعة الطبية مبلغاً عالياً، والشوق إلى معرفة أول من ابتداء بالطب واستنبطه في أقدم الأزمان، بغية إغاثة الملهوف، وشفاء السقيم، مما حقّق حسن الظن بالبيروني حسب الإمكان "على قلة فائدته ونزارة عائدته". فأثبت من كتب الرازي ما شاهده بنفسه أو عَثَرَ على اسمه بإرشاد الله إليه ودلالته عليه [١٧].

وهنا يضيف البيروني مخاطباً صديقه الذي إليه وجّه هذه الرسالة قائلاً:"ولولا احترامي لَكَ لمَا فعلته، لما فيه من اكتساب البغضاء من مُخَالفيه، وظَنّهم أني من شيعته، وممن أُسَوّي بين ما يتأدى بالاجتهاد إلى صَوَابه وبين ما يُميلُه إليه هَواه وفرط تَعَقّبه، حتى يَفتضح فيه بارتكابه، ولا يَقْتصر من الغَشَاوة في باب الديانة بالإهمال والإغفال دون الاشتغال بالقَدْح فيها بأرواح السوء وأفاعيل الشياطين، حتى يحمله ذلك على الإرشاد إلى كُتُب ماني وأصحابه (مَذْهب أسسه ماني ٢١٥-٢٧٦ وشَرَح فيه مبدأي الخير والشر والنور والظلمة) كياداً للأديان والإسلام من بينها. ويوجد مصداق قولي في آخر كتابه في النبوات حين يَسْتخفّ، والسّفة غير لائق بالفضلاء والكُبَرَاء، وقد كان في نَسْخة منها ما يُلَوّث خاطره ولسانه وقلمُهُ، بما يَتَنزّه العاقل عنه ولا يُلْتَفتُ إليه، إذ لا يكسبه سعيه في الدنيا إلا مقتاً". وفي هذه الرسالة إشارة واضحة إلى

ص٦٢٦-٦٢٧، وادوارد كندي، في القاموس العلمي للتراجم (بالإنكليزية)، بإعطاء ترجمة ضافية للبيروني، نيويورك، طبع سكربنار وأولاده.

(١٧) رسالة البيروني في فهرست كتب أبو بكر محمد الرازي، تحقيق: بول كراوس، القاهرة، مطبعة القلم، ١٩٣٦ ص٣٣-٤٨ والترجمة إلى الألمانية بواسطة جوليوس روسكا، مجلة إيزيس، ج٥ (١٩٢٣)، ص٢٦-٥٠، ومخطوط ليدن، نحو ليوس رقم ١٣٣ ق ق ٣٣-٤٨، وادورد سنحاو، مقدمة في كتاب الآثار الباقية في القرون الخالية، ص٣٣-٤٨ مع الترجمة اللاتينية بواسطة أ. فيدمين، وثائق في تاريخ الطبيعيات والطب- ارلينجن، المانيا، المجلد ٥٢-٥٣ (١٩٢٠-٢١) ص٦٦-٨١.

المناظرات التي دارت بين أبي حاتم الرازي وأبي بكر الرازي في كتاب الأول، **أعلام النبوة**، والكتاب المنسوب إلى أبي بكر الرازي، **في النبوات**، وأغلب الظن أنه منحول أو مُحَرّف، مما أنهم به كثيرون أنه "أفسد على الناس أموالهم وأبدانهم وأديانهم" وهو بريء مما كان يتهمونه به [١٨].

إن التقليد وتحريف الأقوال والنقول، والدس من قبل الأعداء والحاسدين على كلامه وكتبه، تجعلنا في ريبة من تلك الاتهامات وتدفعنا إلى التروي في تصديقها، لما نعرف من خلال الباقي والمعروف من كتاباته، ومحاربته المقلدين المشعوذين، "المشاتين"، الذين كانوا يحسبون أنفسهم أطباء بالادعاء وهم ليسوا كذلك بالفعل، وأن الرازي حارب التعصب الذميم، ودافع عن حرية الراي والفكر، وتمسك بالحقيقة مهما كانت، مشجعاً الإبداع الإنساني على اساس السعي في نوال المعرفة البناءة الإيجابية.

وكان عوناً للفقراء كثير الحنو عليهم، رفيقاً بهم، جلس بجانب أسرّتهم في البيمارستانات وفي البيوت، وعرف أحوالهم بسماءلتهم وتشخيص أمراضهم، ومعرفة أسبابها وملابساتها كطبيب سريري قدير ومعالج ماهر. وقد بلغ في صناعة الطب

---

(١٨) **الطب الروحاني**، للرازي ضمن الرسائل الفلسفية، طبعة القاهرة، (ونسخة طهران ١٣٠٦هـ) ص ٢٩١-٣١٠، والمناظرات بين أبي حاتم أحمد بن مدن المتوفى ٣٢٢هـ كبير الشيعة، ودوره الكبير الذي لعبه في سياسة طبرستان والمنطقة المحيطة، وكتابه **أعلام النبوة**، وبين أبو بكر الرازي. وصَنَّفَ عبدالرحمن بن الجوزي (١١١٦-١٢٠٠) كتاباً بعنوان **الطب الروحاني**، أيضاً (انظر: مخطوط طب ٢ رقم ٣١٢٨) وقد سميته **لقط المنافع**، في ٣٠ باباً، وهو متأثر بالرازي، ولكن حاول تفنيد آرائه ونقدها، وسبق أن ردّ عليه وانتقده بشدة حجة العراقيين حميد الدين أحمد بن عبدالله الكرماني، كبير دعاة الإسماعيلية، في كتابه ،**الأقوال الذهبية في الطب النفسان، أكمله في نحو عام ٤٤٥هـ**.

مبلغاً عالياً، فاحتاج إليه الأمراء والنبلاء والأغنياء والفقراء، ما عدا ذلك فهو قصص وروايات غير موثوق بها، مَدْخَلَة عليها [١٩].

ولا شك إن الرازي يعتبر طبيب المسلمين وجالينوس العرب دون منافس، وقد أخبرنا البيروني في الرسالة الآنفة الذكر أنه ولد في الري، غرة شعبان عام ٢٥١هـ (٨٦٥م)، وذلك زَمَنَ الخليفة المعتز العباسي، وأنه توفي فيها في ٥ شعبان ٣١٣هـ(٩٢٥م) زمن المقتدر، وقد كان معاصراً لأبي سعيد سنان بن ثابت، من الأطباء المخلصين في خدمة البيمارستانات ورفع مستواها. ونعرف أن الرازي في الري بين عامي ٢٩٠-٢٩٦هـ، في خدمة الأمير أبي يعقوب منصور بن إسحق بن أحمد بن أسد الساماني، حيث صنَّف الكتب التالية:-

كتاب المنصوري في الطب، جمع فيه جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في الصناعة الطبية: علمها وعملها، وفي الأمور الطبيعية، في عشرة مقالات، أهداه إلى خزانة ناصره وولي أمره الأمير منصور هذا، حاكم الري وصاحب خراسان، وقد تحرّى فيه الاختصار بتناوله المواضيع التالية:-

في المدخل إلى الطب ومعرفة شكل الأعضاء وخلقتها وهيئتها، وتعرف أمزجة وأمْشاج الأبدان والأخلاط الغالبة عليها، وفي الاستدلالات وشيء من الفراسة، وتعريف قوى الأغذية والأدوية الحارّة والباردة، البسيطة منها والمركّبة، وفي حفظ الصحة وتدبير المطعم والمشرب، كما كتب في ذلك أيضاً أبو زيد العبادي؛ وتعديل

---

(١٩) ابن النديم، الفهرست، القاهرة ١٩٢٩ ص٤٢٩-٣٤، ولسليمان بن حسان بن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة، معهد الآثار الفرنسي، ١٩٥٥ ص٧٧-٧٩، وابن القفطي، تاريخ، ٢٧١-٦، وابن أبي أصيبعة، عيون، ج١: ٣٠٩-٢١، ولكلرك، ، تاريخ ١: ٣٣٧-٥٤، وبروكلمن، ليدن، ج١ ، ٢٦٧-٧١ وملحق ١: ٤١٧-٢١، وحمارنة، فهرس المخطوطات المحفوظة في المكتبة البريطانية، ١٩٧٥ (بالإنكليزية) ص ٥٢-٦٠.

المساكن، والبيئة، وعلم الأجنة، ورعاية الأمومة، ومراعاة العادات، وعلاج الأمراض، ورد الأجساد السقيمة إلى الصحة، ومنافع آلات الغذاء والزينة، وأمراض الجلد، والعناية بالأسنان واللثة واستصلاحها، وتدبير المسافرين في الحلّ والترحال في الأزمنة والفصول، وجمل في صناعة الجبر والجراحات والفصد وعلاج القروح، وإصلاح الأدوية والتحذير من السموم وصناعة الترياقات، وذكر الأمراض الحادثة من القرن إلى القدم، وأوصافها وأسبابها، والعلامات، والحميات وأنواعها معالجتها وتفصيل في علم الأوبئة [٢٠]. وقد ترجم إلى اللاتينية وطبع عدة مرات.

كتاب الطب الروحاني (أو طب النفوس)، والغاية منه إصلاح الأخلاق، والتحلّي بالفضائل ليكون قريناً لكتابه المنصوري (الآنف الذكر) في الطب الجسماني وعديلاً له؛ كَتَبَه حوالي ٢٩٥هـ/٩٠٧م. وفي هذه الأثناء زار بغداد مدينة السلام، ويشرح في فصوله العشرين مُسْهباً في فضل العقل ومدحه، وفي قمع الهوى وردعه، وتمارين في ضبط النفس والتلطف في إصلاحها، حتى يتعرف المرء على عيوب نفسه فيصلحها، ويقلع عما يشين منها إذ قد وَهَبَ لنا الله العقل وحبانا به، لنبلغ من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما يمكن أن ننالـه ويبلغه من رفعة وإدراك بالعقل، مما يجعل العيش رغيداً والمراد قريباً هنيئاً، بنبذ الحسد، و العَجْب، ودفع الغضب واطراح الكذب البخل والشره، والامتناع عن إدمان المسكرات والموبقات، ودفع الهموم، واتباع السيرة الفاضلة والمعاملة بالعدل والرحمة، والافتكار بالموت وما بعد القبر حتى يتعظ ويعتبر، لما في ذلك من

---

(٢٠) مخطوط، **كتاب المنصوري**، نسخة أكسفورد، نسخ جميل مشكل واضح، رقم ٢٤٨، (ونسخة القاهرة المصورة) في ٢٢٩ ق نقل ٦٢٦هـ على يد علي بن محمد الحسيني النيسابوري، ١١ سطراً والمقياس ١٩x١٣,٣٠ سم، ونسخة كمبردج، شرقي رقم (٧٠) (٩) في مجموع، ومجموع ١٥١٢ (١١) في تاريخ ٥٧٩ هـ(١١٨٤م) في ٢٠٠ ق، وغيرها، وقد قمت بفحصها.

حسن الجزاء واتقاء مرّ العقاب [٢١]. مما يؤكد أن الرازي كان صادق الإيمان بالله والوحي السماوي واليوم الآخر، ولكن أعداءه نسبوا إليه ما هو بريء منه، قصد الإيقاع به والإساءة إليه كذباً وبهتاناً، وإنه كان مثال الأخلاق ومعدن الفضائل وعرفان الجميل، والطبيب المكرّس حياته لخدمة هذه المهنة الشريفة، محارباً الجهلاء المرتزقة بها، ومنادياً باحترام نطاسّيي الأطباء وأفاضلهم، والأخذ بآرائهم، ولم يَتَكَالَب قط على بهارج الحياة وغرورها، ولكن الضعف أمام هيبة الموت، واضطراب الروح والإحساس باقتراب المنية، وخشية المثول أمام الديان جعله ينشد قائلاً:

لَعَمْري ما أدري وقد آذن البلى بعاجل ترحالي إلى أين ترحالي
وأيْنَ محل الروح بعد خروجه من الهيكل المنحلّ والجسد البالي

كتاب في أوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا:- هذه علل معروفة منتشرة، أراد الرازي أن يُحَدِّد فيها الفرق بين النقرس وغيره من أوجاع المفاصل الأخرى؛ وهو مرض يُصيبُ مفاصل القدمين، ولا سيّما الإبهام، فتعرض بسببه أورام وآلام شديدة مبرحة تعوق المرء عن المشي والتصرف والحركة. فيذكر في عشرين باباً الفوارق والأسباب والأصناف والدلائل والمعالجة، وتشمل العلاج بالسورنْجان (وهو اللحلاح أو العكْنَه أو الخَمَل من جنس الزعْفَران من فصيلة السوسنيات)، الذي استمر استعماله في هذه المعالجة حتى العصور الحديثة. وقد أجاد المؤلف بحسن المشاهدة والأصالة في البحث التجريبي المنهجي، وأهدى الكتاب إلى أبي يعقوب

(٢١) آرثر آربري، **طب النفوس**، للرازي، طبع لندن، ١٩٥٠ (بالإنكليزية)، ومنه مخطوطات متعددة ونقده ابن الثمار أبو بكر حسن الدهري بكتاب تحت عنوان (طب النفوس).

منصور حوالي ٢٩٣هـ (الأمير النجيب ابن النجيب) [٢٢]. ولم يفطن السلف لدراسة حياة هذا الطبيب العبقري الفيلسوف ومآثره وكتاباته الخطية الكثيرة، وما اكتشفه باختباراته وتجاريبه وممارسته في أحوال المرضى، والاستدلال على أحوالهم وتقدمه في المعرفة، والأدوية، والصفات وأسرار الطب، والتشخيص والعلاج، مع أخبار كثيرة، وحالات مرضية وفوائد متفرقة نشرها في كتاباته، كما أنه يبدو في فترات معينة من حياته أنه كان له تلاميذ يدرسون عليه، ومنهم من كانوا مَعَهُ في العمل بالبيمارستان (دار المرضى، مترجمة من الفارسية)، منهم أبو محمد يونس البخاري، من أهل المعرفة في العلوم الحكمية والرياضية، ممن كثرت محبته وخدمته للمعلم فَوَجَب عليه حقه في مرافقته والتتلمذ له. وقد ذكر الوراق محمد بن النديم، في فهرسته، رواية عن رجل من أهل الري، قال إن الرازي في كهولته "كان شيخاً كبير الرأس مُسَفّطاً (كبيره)، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون. وكان يجيء الرجل فيعف ما يجد لأول من تَلَقّاه، فإن كان عندهم علم، وإلا عداهم إلى غيرهم، فإن أصابوا وإلا تكلم الرازي في ذلك ... ولم يكن بفارق في المدارج والنَّسْخ، ما دَخَلْتُ عليه قط إلا رأيته يَنْسَخ، إما يُسوَّد أو يبيض" [٢٣].

---

(٢٢) **كتاب في أوجاع المفاصل والنقرس**، للرازي، من مخطوط، مكتبة ملك ملّي في ٢١ فصلاً، وقمت بشرح هذه المقالة بالإنكليزية في **مجلة فايزس**، فلورنسا –ايطاليا، ج٢ (١٩٧٨) ص ٣١–٣٨ في ٢٠ فصلاً، مراجعة مخطوط مكتبة البلدية بالإسكندرية بمصر رقم ٦٤١٨ د. نسخ جميل نقل علي بن سنان السراج الحلبي من سكان دمشق عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م. وكان الحصار محكماً عليها زمن الأيوبيين.

(٢٣) ابن النديم، الفهرست، ٤٢٩–٣٠، **فهرس مخطوطات**، دار الكتب العربية بالقاهرة، ١٩٦٧، ص١: ١٩–٢٣، عبداللطيف محمد العبد، أخلاق الطبيب، رسالة من الرازي إلى بعض تلاميذه، تحقيق وتقديم وشرح، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٧، ص١٦–٢٠، ٢٧–٣٥، ٦٧–٧٧.

وقال أبو الريحان البيروني إنه صَرَف جلّ وقته في الاجتهاد والتطلع فيما دَونَّه الأفاضل من العلماء في كتبهم، وكان دائم الدرس، شديداً لاتباعه، يَضَع سراجه في مشكاة على حائط يواجهه، مسنداً كتاباً إليه كيما إذا غلبه النوم سقط الكتاب من يده فأيقظه ليعود إلى ما هو عليه من الدرس والتبحّر (مع أنه كان في شبابه يضرب العود ويتقن الالحان). كان في بصره رطوبة (مَيّة زرقاء) نزلت في عينيه، وحضر إليه كحال، مقتدر فأشار عليه بالقدح، فرفض ذلك بحجة أنه أبصر من الدنيا الكثير حتى ملّ، وبأن الأمر لا يخلو من ألام تعَافُها النفس ثم قرب الأجل فلم يقدح وقد، توفي بعد ذلك بقليل [٢٤].

الرازي والكيمياء:-

ومنذ الصِغَر أهتم الرازي بصناعة الكيمياء (الصناعة الإلهية، الاكسير)، قائلاً : "اني لا اسمي فيلسوفاً إلا من كان قد علّم صنعة الكيمياء". ويعتبر جابراً بن حيان الأزدي، الصوفي (حوالي ١١٨-١٩٠هـ)، استاذاً روحياً له، ويرى "أن الصناعة إلى الوجوب أقرب منها إلى الامتناع"، وجعل لها تصنيفاً منظماً منهجياً وموضوعياً لأول مرّة في تاريخ الكيمياء فحقّ له أن يكون الرائد المصنف لها، ولا سيّما في كتابين تَمّ تحقيقهما ونشرهما.

الأول، **الأسرار** – ويقول في المقدمة: "أن الذي دعاني إلى تأليف هذا الكتاب مسألة شاب من تلاميذه من أهل بخارى يقال له محمد بن يونس، عالم

---

(٢٤) البيروني، **فهرست كتب الرازي** ، مرجع سابق، ص٣٣-٣٧، ومحمود نجم الدين آبادي ، **مؤلفات ومصنفات أبو بكر محمد الرازي**، طهران، مطبعة الجامعة، ١٩٦٠، **وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية**، دمشق، ١٩٦٩، ص٨٦-١٠٣، وجورج سارتون، مقدمة، ج١: ٦٠٩-١٠، وفؤاد سزجين، المخطوطات، ج٣ (١٩٧٠) ص٢٧٤-٩٠.

بالرياضيات والعلوم الطبيعية والمنطقية، مِمَّن كثرت خدمته لي ووَجَبَ حقّه علي وعندي. سألني بعد فراغي من الكتب الاثني عشر في الصنعة، والرد على الكندي (ولد زمن الرشيد حوالي ١٨٨ هـ في الكوفة، وتوفي ببغداد حوالي ٢٥٧هـ/ ٨٧١ م زمن المعتمد)، ومحمد بن الليث الرسائلي (معاصره) أن أجمع له شيئاً من أسرار أعمال الصنعة، ليكون له إماماً يقتدى به، ودستوراً يرجع إليه، فألَّفْتُ كتابي هذا واتحفته بما لم أتحف به أحداً من الملوك و الأمراء ... ومما يستغني به عن جميع كتبي في هذا المعنى". وذكر علماء سابقين آخرهم خالد بن يزيد، الأمير الأموي، واستاذنا جابر بن حيان، وقد اشتمل **كتاب الأسرار** هذا على معرفة معان ثلاثة:

١. **في معرفة العقاقير، وهي ثلاثة:** ترابيّة، وهي ستة أنواع: **الأرواح**، الزئبق والنوشادر والكبريت والزرنيخ؛ **والأجساد سبعة: الفضة والذهب والنحاس والحديد والقلعي والاسرب والخارصيني؛ والأحجار**، المرقشيتا والمغنيسيا واللازورد والكحل والطلق والجبسين والزجاج **والزاجات، الاسود والزاج الأصفر والشب والقلقديس والقلقطار (وهي الكبريتات) والبوارق**، النطرون وبورق الصاغة والبورق الأحمر والبورق الخبزي؛ **والأملاح**، الملح الطيب (ملح الطعام) والملح المرّ، وملح الطبرزد، والنفظي. أما العقاقير النباتية فهي كل ما يدخل في عداد النباتات الطبية ومنتجاتها، من صموغ وعصارات وبزور وازهار وأثمار ومنها العشبية والشجيرات والأشجار. أما العقاقير الحيوانية فمنها عملت الحكماء أكاسيرها وأشاروا إليها، ورمزوا بها : كالشعر والدماغ والمرارة واللبن والبول والبيض والصدف والقرون.

٢. **في معرفة الآلات**، إما التذويب الأجساد، وإما لتدبير العقاقير، كالكور والمنفاخ، والبوطقة والماسك، والمُقَطِّع والمُكَسَر، وكذلك القرع والانبيق

والقابلة والاثال والمستوقد والاقداح والقناني، والأقدار والقوارير والصلاية والاتون ونافخ نفسه والكرة.

٣. **في معرفة التدابير**، كالحرق والتصعيد والتقطير والتذويب والتكليس والتشوية والتغسيل والطبخ والتشميع والتحليل والصبغ والتعقيد.

والثاني، **كتاب سر الأسرار**، يرفع به الأجساد بما أودعته من التدبير درجة على رأس الكور، فيبلغ به مراده بأهون السُّبَل، أو ينقصه ويردّه إلى حالته الأولى متى شاء بعد مضي ذلك، بالمزج والعقد والتدبير والحل، بالإضافة إلى عمل الفضة ولالتوتياء وتخليص الذهب وصبغه والتبيض على رأس الكور لعمل الأكسير (٢٥).

الرازي الطبيب السريري:- كان الرازي بين المبرزين من أطباء الإسلام المهتمين بالبيمارستانات، للتثقيف الصحي وشفاء المرضى والعناية بهم، ورفع مستوى البحث العلمي والمناقشة البناءة فيها. وله كتابان في الموضوع: **في صفات البيمارستان، والتجارب البيمارستانية**، وهو غير معروف حتى الآن، ذكر فيه كل ما كان يجده من أحوال المرضى والأطباء الطبائعيين والجراحين والمجبرين، وذكر الأسباب المميلة لقلوب أكثر الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم، ولما صار جهال الأطباء والعجائز في المدن أكثر من العلماء. وقال إن الاطباء الأميين والمقلدين والأحداث الذين لا تجربه ولا أخلاق لهم، ومن قَلّت عنايته بالمرضى، يحذر منهم، وأنه ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء،

---

(٢٥) **الأسرار** ، وكتاب **سر الأسرار**، كلاهما منسوب إلى أبي بكر الرازي، طبع طهران، ١٩٦٠، ويوليوس روسكا، "الرازي والكيمياء". **مجلة الإسلام**، (بالإلمانية)، ج٢٢ (١٩٣٥)، ٣٨١-٩١، دراسات **في العلوم والطب**، (بالإلمانية)، ج٦ (١٩٣٧)، ص١-٢٤٦.

فخطأه في جانب صوابه يسير جداً، موصياً بذلك بطبيب العائلة الموثوق به، كما أشار للطبيب بأن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه العلة من داخل ومن خارج، ويحكم بما هو الأفضل النافع، فزيارة المرضى ضرورة لازمة للتشخيص وحسن المعالجة، ومتى اجتمع الرأي والموافقة بين المريض والذين يقومون بخدمته من أهله مع الطبيب، لا عليه يكون النجاح حليفهم قدر المستطاع [٢٦]. ومن أهم كتب الرازي في هذا المضمار ما يلي:

مقالة في الجدري والحصبة:-

وهذه مقالة في ١٤ باباً، صغيرة الحجم ولكن أهميتها وشهرتها طَبّقتا الآفاق، وهي تبحث عن أسباب الجدري وشدة انتشاره المخيف في ذلك الزمن (وحتى مطلع هذا القرن). والانذارات المهيئة للأصابة، والزمن، والتشخيص، والآثار على الجلد، وما يلزم من التحذير، العلامات والأعراض في هذين الوبائين، وطرق المعالجة والشفاء من مثل هذه الأمراض الوافدة .

وفي مقدمتها يقول الرازي: "كان جرى ذات ليلة في مجلس رجل فاضل يحرص على شرح العلوم النافعة وتسهيل سبلها للناس، ذكر الجدري والحصبة، فذكرتُ من ذلك في تلك الليلة ما حضرني، فأحب هذا الرجل – مَنَحَ الله الناس بطول بقائه– أن أعمل مقالة في هذا الباب محددة متقنة، إذ لم يوجد في ذلك لأحد قول كاف. فعملت هذه المقالة رجاء ثواب الله". وإن كنا لا نعرف بالضبط الزمان

---

(٢٦) البرت اسكندر، "والرازي الطبيب الاكلينكي. **مجلة المشرق**، بيروت، ج٥٦ (١٩٦٢)، ص٢١٧-٢٨٢، وأبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان** تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٢، ج٥: ١٥٧-١٦١.

والمكان واسم ذلك النبيل المضيف. وهذه خلاصة ما بينه الرازي من الفروق بين الوبائين والتشخيص والعلامات ما معناه:-

الجدري، حُمَّى مطبقة، ولا سيّما عند الصبيان، مع وجع مستمر في الظهر والحلق لا يفارقه، أكثر منه في الحصبة، يصاحب حكاك الأنف والتفزع في النوم. يظهر فيه الطفح الناتئ عن الجلد، يظهر تدريجياً كالثآليل، تبدو بشكل بثور مستديرة مُنتشرة، لها عمق، وهذا النتوء أو الطفح إذا ظَهَرَ بعد يوم أو يومين من الحمّى اللازمة يشتبه رأساً بأنه الجدري، إذ الحصبة لا تظهر فيها بثور أبداً، وأشد الطفح ما يكون أسود أو بنفسجي اللون أو أصفر. وإذ يستلقى المريض ويحرك رجليه يرتعش ويرتعد، ويحس ثقلاً في الجسم كله يرافقه صداع، وكثرة التملي والتمطي والتثاؤب الدائم، مع ضيق النفس والسعلة والبحّة في الصوت، وعادة ما تتناوب الحصبة مع الجدري، فيظهر الواحد منهما تلو الآخر. فيجدر الاحتراس والعناية بالعين والحلق والأذن وانفاج القشور. أم الحصبة فعلامتها غلظ الصوت وأحمرار العنيني والوجنتين، مع وجع في الحنجرة والصدر، واللسان يجفّ، أكثر مما هو الحال في الجدري، وتتفتح الاصداغ، ويحمر الجسد وتدمع العينان كثيراً، ويهيج التهوع (الوثوب والصياح مع الشراسة أو القيء من غير تكلف)، ويزداد أيضاً القلق والغشي والكرب أكثر منه في حالة الجدي، إما الأحمرار فيكون غالباً في سطح الجلد واللثة، ولكن مع سخونة الجسم كله واشتعال اللون، ولا يكون النتوء أو الطفح له عمق البتة، فإذا ظهرت هذه الأعراض فتأكد بأن الحصبة ستظهر دفعة واحدة. وفي الحمى يسقى العليل ماء الشعير والرازيانج والكرفس واللبن المخيض [٢٧].

---

(٢٧) **كتاب الجدري والحصبة**، للرازي، ترجمه للفارسية محمود نجم الدين آبادي، طهران، ١٩٦٥، كما ترجم إلى الفرنسية واللاتينية والإنكليزية، وحققت بالعربية أكثر من مرة، كما أن هناك نسخاً مخطوطة منه أيضاً.

كتاب القولنج:- في العصر الحاضر، القولنج هو عرض الحالات مرضية متعدد كعلّة احتباس الثفل، والفتق والمختنق، والأورام البطنية المختلفة، والتهاب الصفاق الحارّ والانفتال المعوي، والقولنج الكلوي والكبدي والمراري، والتهاب المعي الغليظ، أو الزائدة الدودية، والسدد المعوية من كتل البراز المتراصة المتقلصة في جدر الامعاء، والانغلاق والانسداد الحصوي والسحج والمغص المعوي. وأما زمن الرازي وما بعده لقرون عدة فقد كان الظن أن القولنج مرض سببه ألم بطني متناوب الشدة، كعامل مشترك مع احتباس الريح والبراز.

وهنا يعطي الرازي ملاحظات سريرية مهمة، مع وصف لأعراض الزُّحار بدقة وإبداع، مبنيّ على الاختبار والتجربة الصحيحة، كشاهد عيان في منهج البحث، ومساءلة المريض ومعرفة النتائج والتشخيص الواضح، وموضع القولون من الحالب حتى جوار الكبد والطحال، حيث تتركز آلام القولنج [٢٨]. ولتوضيح الفروق مثلاً بين وجع القولنج والمغص والنرحير، فقد صَنَّف الرازاي **كتاب ما الفرق**، للفروق بين الأمراض، كما ذكر في المقدمة:"لما رأيت أطباء الزمان لا يعرفون من الأمراض إلا ما تصوروه عن الكتب بدلائله وأسبابه المذكورة، وكانت الأسباب والدلائل قد تشترك، والأمراض قد تشتبه، وكانت الهمم قاصرة عن تحصيل العلم بذلك القياس والاستخراج من الأصول والقواعد، رأيت أن أجمع كتاباً فيما يشتبه من الأسباب والدلائل والأمراض، رأيت أن أجمع كتاباً فيما يشتبه من

---

(٢٨) **حول كتاب القولنج**، هناك مخطوطات فحصتها في كمبردج بانكلترا رقم ٣٥١٦ في مجموع، وقد ذكرها براون في الطب العربي، طبع الجامعة ١٩٢١، وأعيد طبعه ١٩٦٢ ص٤٨، ومحمود نجم آبادي، طهران، ١٩٦٠ ص٤٨، ٦٢، ٨٨، ٩٠، **وانظر الحاوي** للرازي، طبعة حيدر آباد، ج٨: ١٠٦، وقام بالتحقيق: صبحي محمود حمامي، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٣، رقم ٤ من مصادر ودراسات تاريخ الطب العربي.

الأسباب والدلائل والأمراض"، فكان بذلك رائداً لما نسميه اليوم التشخيص التفريقي (المقارن)؛ تشتبه الأمراض حتى في أحدث المستشفيات وأكمل التجهيزات والفحوص المخبرية، لخطورة التفريق بينها، حتى يتم التشخيص بدقة ووضوح. والمساوئ التي تنجم عن الإسراع والخلط بين الأمراض، والأخطاء الناجمة من المعالجة مما يؤدي المريض والمعالج معاً والأهل أيضاً.

ويؤكد الرازي أن مثل هذا الكتاب لم يسبق إلى مثله من تقدم من الأطباء، لا لعجزهم بل لأنهم في رتبة الاجتهاد للوصول إلى مثل هذه النتائج، لتشابه الأمراض، وكذلك الأعراض حتى تُفرق مثل ما هو معروف أيضاً في مرض ذات الجنب أو البرسام، والفرق بينهما وبين ذات الرئة والتهابها [٢٩].

ويعتبر الرازي أول من وصف الرشح التحسسي في مقالة أثبتها، في **(العلة التي من أجلها يعرض الزكام لأبي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمّه الورود)**. وقد حققت وقام بشرحها صديقنا الزميل الدكتور سلمان قطاية [٣٠].

بُرْء الساعة (أو ساعة):

كتاب صغير الّفَهُ الرازي في حضرة الوزير أبي القاسم بن عبدالله، وجعله دستوراً في الطب في ذكر العلل من القرن إلى القدم، عضواً عضواً، فيما هو سهل الشفاء بالمدابرة والعناية. وكانت الغاية من تأليف هذا الكتاب قول بعضهم، وعلى مسمع من المؤلف في حضرة الوزير، إن العلل إذ تَحْدُثُ وتَجْتمع على مدى أيام

---

(٢٩) **كتاب ما الفرق**، للرازي للفروق بين الأمراض، تحقيق وتقيم وشرح: صديقنا الزميل د. سلمان قطاية، جامعة حلب، معهد التراث، ١٩٧٨ (انظر: خاصة ص ١- ٥).

(٣٠) تقرير الرازي حول الزكام المزمن عند تفتح الورد، تحقيق: فريدون هاو، وتعليق الدكتور سلمان قطاية، مجلة تاريخ العلوم العربية، ج١: ص٥٧-٦٦ (١٩٧٧).

وشهور، فلا سبيل إلى معالجتها وإمكانية شفائها إلا بالمعاناة في التدبير والإبراء مُدداً تستغرق تلك الشهور ليتم شفاؤها.

لقد حَدَث هذا الادعاء والنقاش، وفي رأي المؤلف، إن ما يرمي إليه هؤلاء الأطباء ليس لصالح المريض ورفع مستوى المهن الصحية وكرامتها، إنما كانوا يريدون كثرة المجيء والذهاب من وإلى بيت المريض بغية الكسب المادي، وأخذ الأجرة المتكررة في كل مرة، فكان جواب الرازي هو أن بعض العلل – وإن كانت تستغرق الأيام والشهور وربّما السنين– يمكن، يحسن المعاملة وصدق المعالجة والتدبير وجودة الأدوية، شفاؤها في ساعة. وإذ تعجّب الأطباء المدعون مستغربين قول الرازي، بادر هو إلى تصنيف هذه المقالة الصريحة حول السرّ في الصناعة وبرء الساعة، كدستور للأدوية وشفاء للأسقام المعروفة والمألوفة بوساطة عقاقير معروفة ومألوفة أيضاً، توجد في أمكنة عديدة، ولا يحتاج الطبيب الحاذق معها إلى غيرها، إذا ضُمَّ ما يوجد في المطابخ والبيوت [٣١].

وإذ بالغ قدماء الأطباء والمحدثون في ما هو نافع أو ما هو ضار من العقاقير، يوصى الرازي بانتقاء أدوية وأغذية معيّنة لشفاء المرضى، وتقوية بنية المريض ونموه وتقدمه نحو الصحة المنشودة.

كذلك أوصى الرازي بأهمية **إبدال الأدوية** المستعملة في الطب والعلاج، وقوانينها، وأوجه استعمالها كجزء مهمّ من أجزاء الطب يستحق تمييزه وتقييمه، كما وضع حدوداً له، وحدّد الغرض المقصود لنفع الطبيب والمريض والأهل معاً، ولا

---

(٣١) برء الساعة، مخطوط في أكسفورد، مارش ١٣٧ ق ق ٦٧–٩٥ ومارش ٤٢، وكمبردج، رقم ٣٦٩٦ (١٠) في مجموع نقل ١١١٣هـ/١٧٠١م، وسامي حمارنة، **مراجع في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب المسلمين** (بالإنكليزية) شتتفارث، المانيا الاتحادية، جمعية الصيدلة، ١٩٦٤ ص٨٨–٩٠.

سيما أنه ليس كل دواء موجوداً أو موفوراً في كل مكان، فلا بدّ من إبداله بما ينوب عنه، وتحديد المقدار اللازم، وطريقة التدبير في ذلك، كما أشار جالينوس والعبادي من قبل (٣٢).

وإذ نجد في عصرنا هذا التحوّل نحو طلب العقاقير الطبيعية بعيداً عن المركبات الصناعية المصطنعة والمركبة، يكرس الرازي جهده في تأليف **كتاب في منافع الأغذية**، ودفع مضارها عن الأبدان البشرية، شارحاً ما يصلح، ويفيد من مآكل ومشارب، ونباتات طبية، وأعضاء حيوانية، وألبان، وأسماك، مؤكداً القول بأن الحمية المفرطة، والمبادرة إلى الأدوية، والتقليل من الأغذية، لا يحفظ الصحة بل يجلب المرض، وإنّ من الجهل التشديد على المرضى بمنعهم ممّا يشتهون اعتباطاً وغلواً. وان ما وهب الله من مواد الأغذية والأشربة يكون مادة البقاء، إذا عرفنا كيف نختار ونميّز ما هو مفيد، ونتحاشيى ما هو ضار ومعيق (٣٣).

واهتمّ الرازي بتوفير أفضل الوسائل لعلاج المرضى وتأمين حاجاتهم، للحصول على الصحة، وجعلها في متناول أفراد الشعب، وفي هذا قال الرازي"أنه لما رأيت الفضلاء والأطباء في تصانيفهم ذكروا أدوية وأغذية لا تكاد توجد ألا في خزائن الملوك، (وبعض دكاكين الصيادلة)، فأحْبَبْتُ أن أجعل (واصنّف)، مقالة وجيزة في علاج الأمراض بالأغذية والأدوية المشهورة والموجودة عند العام والخاص، ليكون

---

(٣٢) **إبدال الأدوية**، مرجع نجم آبادي، طهران، مرجع سابق، ص ٩٩-١٠٠، ومخطوط مجلس الشورى، رقم ١٥٣٨، والاقراباذين، مخطوط اكسفورد مارش رقم ٥٣٧ (٥) في مجموع ق١٥٨-١٨٢.

(٣٣) **منافع الأغذية ودفع مضارها** ، تحقيق: القاهرة ، ١٣٠٥هـ/١٨٨٨ م، انظر :المقدمة خاصة.

أحرى أن ينتفع بها أكثر الناس في حلّهم وترحالهم، وقد تتبعت في ذلك ذكر علّة علّة وعلاج علاج، وسميته "لمن لا يحضره الطبيب في المدن أو الأرياف" (٣٤).

مَعْلَمة تراثية ودائرة معارف طبية:-

إن أول موسوعة طبية في الحضارة الإسلامية عامة كتاب **فردوس الحكمة**، لأبي الحسن علي بن سهل رَيَّان الطبري، أهداه إلى الخليفة العباسي المتوكل بعد أن أكملَهُ ببغداد عام ٢٣٦هـ/٨٥٠م، أي قبل خمسة عشر عاماً من ولادة الرازي (٣٥). ولكننا في هذه العجالة نذكر مع بعض التفصيل معلمة تُراثية طبية لسائر المهن الصحية المعروفة، أكمل الرازي مسودتها فقط في حياته وذلك للسببين التاليين:

أولاً، كتاب الفاخر – وإن كان منسوباً إلى الرازي فهو في الواقع ليس له، ولكن ربما كان لأحد تلاميذه أو اتباعه بعده؛ وإنما أثبت في جملة كتبه الموسوعية لكونه قد نُسِبَ إليه واشتهر أنه له. وبالجملة فإنها معلمة تراثية جيدة، استوعب فيها المؤلف المجهول ذكر الأمراض ومداواتها، واختيار معالجتها على أتم وأفضل ما يمكن، ولكن أغلبه منقول من **كتاب التقسيم والتشجير** للرازي، وكتب لمؤلفين آخرين، كابن سرابيون، حتى أن الطبيب أمين الدولة بن التلميذ، رئيس أطباء بغداد المتوفى عام ٥٦٠هـ/١١٦٥ يعتبره للرازي.

وفي أول مقدمة **الفاخر**، يقول المؤلف مستهلاً : "إن من عظيم مِنَن الله علينا وجليل تطوله على خَلْقِه، الصحة التي ألبسهم إياها، والعافية التي حباهم بها، لينالوا

---

(٣٤) من لا يحضره طبيب، مخطوط طهران، رقم ٣٠٢ في ١٩٥ ص، انظر: نجم آبادي، مرجع سابق نفسه، ص ص ٦٦-٦٧، ومكتبة ويلكم في لندن رقم ٢٣ شرح البرت اسكندر (بالإنكليزية)، ١٩٦٧م.

(٣٥) **فردوس الحكمة**، تحقيق وتقدم: محمد صديقي، برلين، جيب، ١٩٢٨، ثم طبع همدرد مع الأوردية، ترجمة حكيم رشيد أشرف ندوي، وتقديم حكيم محمد سعيد، كراتشي، ١٩٨١، **وفهرس المخطوطات المحفوظة في المكتبة البريطانية**، مرجع سابق نفسه، ١٩٧٥ ص٣٢-٣٥ (بالإنكليزية).

بذلك دنياهم وآخرتهم، وبَصَرهم ما لهم وما عليهم من اجتناب الشهوات المذمومة، واستعمال المعالجات المكسبة للسلامة. وإن كانت البنية ضعيفة والحيلة واهية، ولا غنى بالناس عن استعمال الدواء لدفع الداء، فواجب لازم صَرْف الهمة إلى ما فيه راحة النفس ورفع الألم عنهم... بالتنبيه إلى ما ينفع ويَضُرّ من الأغذية والأدوية، التي لا غنى للناس عن كثير منها، فجمعت آراءهم في هذا الكتاب، وأضَفْتُ إلى ذلك آراء المحدثين والمتقدمين في الصنعة على نحو ما جَرَت به مصنفاتهم"، فالمؤلف ناقل جامع تقيّد بمن سبقه من العلماء [٣٦].

ثانياً، كتاب الجامع الحاصر لصناعة الطب- ومع أنه توجد أجزاء متفرقة منه في المكتبات، إلا أنني حتى الآن لم أعثر على نسخة كاملة منه تؤكد فحواه وتكشف دقيق محتوياته، وهو أول من ذكره ابن النديم في **الفهرست**؛ الذي نُشِر عام ٣٨٥هـ، وهو يقسم هذه المعلمة الطبية إلى اثنى عشر قسماً: في علاج المرضى والأمراض، وفي حفظ الصحة، وفي قوى الأدوية والأغذية وجميع ما يحتاج إليه من المواد (المفردات) في الطب، البسيطة والمركبة، وفي صنعة الطب والصيدلة (الصيدنة)، وألوان الأدوية وطعومها وروائحها، وفي الأبدال والأوزان والمكاييل، وفي التشريح ومنافع الأعضاء، وفي الأسباب الطبيعية من صناعة الطب، والمدخل إلى صناعة الطب تعريفاً وتاريخاً وبدايات، وماهيات، وفيما استدركه من كتب جالينوس وحنين العبادي [٣٧]. وذكره أيضاً ابن أبي أصبيعه،

---

(٣٦) **كتاب الفاخر**، منسوب للرازي ولكنه ليس له، مخطوط كمبردج، شراء براوين في نيودلهي ١٩٢٠ وهي نقل ١٠٠٥هـ (١٥٩٦)، ومخطوط معهد تاريخ العلوم الطبية، نيودلهي، همدرد، ومحفوظ طهران، ملك ملّى، رقم ٤٤٧٩ ونجم آبادي، ص ١٤٩، والظاهرية فلم ٩٥٢١، ومتحف طوب كابي سراي، تحقيق: فهمي أدهم، اسطنبول، ١٩٦٦ ص٨٠٥-٦ رقم ٢٠٥٧-٧٢٠.أ، ومخطوط ليدن رقم ٩١.

(٣٧) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٤٣١، وهناك مخطوط في اكسفورد، بودليان، رقم ٥٦١ ربما هي.

في عيون الأنباء، قال إن غرضه جَمْعُ ما وقع إليه وأدركه من كتاب طب قديم أو محدث إلى موضع واحد (مَعْلمة) في كل باب. وهنا يذكر الرازي أنه قضى خمسة عشر عاماً في تأليفه، عاملاً فيه ليل نهار حتى ضعف بصره وحدث له فَسْخ في عضل اليد اليمني، مما منعه طيلة سنين من مواصلة الكتابة والنقل والقراءة، وهو في حالة بائسة كئيبة، حتى أن الرازي استعان بمن يساعده في القراءة والكتابة والإنشاء(٣٨). كذلك نلتفت أخيراً إلى ذكر الموسوعة المعروفة التالية:

الحاوي الكبير في الطب: قال ابن أبي أصيبعة، إن الحاوي هذا من أجلِّ كتب الرازي وأعظمها، يضم جميع المهن الصحية المعروفة في زمنه، جمع فيه ما هو متفرق من كتب المتقدمين والمحدثين، ونسب كل شيء نقله فيه إلى قائله، في ذكر الأمراض ومداواتها. ثم أن الرازي توفي ولم يَفْسَح له الأجل أن يحرر كتابه هذا، فتركه من مسودات متفرقة، وُجدت بعد موته فجمعت على هذا النحو من الاضطراب، الخالي من التنظيم والتنسيق والربط، بل حُسِبَتْ كأنها كتاب واحد؛ وكان نادر الوجود، حتى في زمن أبي الحسن علي بن العباس المجوسي المتوفى بشيراز ٣٨٤هـ/٩٩٤م. ذكر في مطلع كتابه **كامل الصناعة الطبية**، بأنه لم يكن في زمنه من الحاوي الكبير غير نسختين نادرتين. وقيل أن أخت الرازي وجدت الكتاب فنشره، كما هو، الوزير أبو الفضل محمد بن العميد في نحو عام ٣٢٥هـ(٣٩).

---

(٣٨) ابن أبي أصيبعة، **عيون الانباء**، مرجع سابق، ج١: ٣١٧–٨ وانظر: **السيرة الفلسفية** للرازي طبع القاهرة ١٩٣٦.

(٣٩) **الحاوي الكبير في الطب**، حيدرآباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٥–١٩٦٨، ومخطوط مارش باكسفورد ١٥٦، ومخطوط واشنطن، المكتبة الوطنية الطبية رقم ٦٢ (فلم ٨٨٣٧)، ومخطوط هـ. كوشنج، جامعة ييل، والاسكوريال، وغيرها.

وحتى هذا اليوم لا يوجد باللغة الأصلية نسخة كاملة لكتاب **الحاوي** هذا، وإنما توجد أجزاء واقسام متفرقة في مكتبات العالم، شرقاً وغرباً. وأول نسخة في أجزاء محدودة وأقدمها هي التي فحصتُها وشرحتُها؛ وهي موجودة في المكتبة الوطنية الطبية في ضواحي العاصمة الأميركي؛ تَمَّ نقلها عام ٤٩٧هـ/١٠٩٤ (٤٠).

على أن أكمل مجموعة من النسخ لكتاب الحاوي بالعربية هي المعروفة الآن في مكتبة الارسكويال، بإسبانيا، تحت الأرقام ٨٠٧-٨١٤. قام الدكتور محمد عبد المعيد خان، مدير مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بتحقيقها ونشرها؛ وله الفضل الكبير في التحقيق والإعداد والتوزيع لمشروع ضخم كهذا، في حيدرآباد الدكن بالهند. وقد ظهر الجزء الأول عام ١٩٥٥ م والأخير في جُزئين ١، أ+ب عام ١٩٦٨م، مشكوراً لإحياء هذا التراث الطبي الخالد (٤١).

أما محتويات الحاوي الكبير كما نشرها الدكتور محمد عبدالمعيد خان الآنف ذكره، فهي على الترتيب التالي:-

الجزء الأول، في السكتة، والفالج، وأمراض الرأس، والماليخوليا، والصرع، و الصداع، والتشنج، والكزاز، واللقوة، والكابوس، والشقيقة.

الجزء الثاني، في العين وعللها، كالرمد، والظفرة، وضعف البصر، وما وصفه الكحالون.

---

(٤٠) **مخطوطات في المكتبة الوطنية الطبية بواشنطن**، تحقيق: حمارنة، **مجلة تاريخ العلوم العربية**، ج١ (١٩٧٧)، ص٧٢-١٠٨ (بالإنكليزية).

(٤١) مخطوطات الاسكوريال، **الحاوي في الطب**، رقم ٨٠٧-٨١٠، الأرقام الأولى نقل محمد بن الوليد البياسي المأمور بطليطلة، انتسخه لخزانة الوزير عام ٦١٠ هـ، واعتمد عليها الدكتور محمد عبدالمعيد خان في تحقيق الكتاب.

الجزآن الثالث والرابع، في أمراض الأنف والفم والأسنان والسنونات، وأمراض الأورام الحادثة بالفم والأذن والرئة، والفرق بين ذات الجنب وذات الرئة.

الجزآن الخامس والسادس، في ما يعرض للمري والمعدة من سوء مزاج، وعلامات القرحة والاستفراغات والإسهال، وأدوية التسمين والتهزيل. وفي الجزئين الثاني والسادس ذكر نَسْخ المخطوطات الموجودة في مكتبة الاسكوريال على يد محمد بن الوليد البياسي، المأمور بطليطلة، انتسخَهُ لخزانة الوزير الحكيم أبو الحجاج يوسف بن سليمان انخيمش الإسرائيلي، وذلك في عامي ٦١٠هـ و ٦٢٣هـ، وتبعه في النسخ يوسف بن محمد الطنيوجي.

الجزآن السابع والثامن، في أمراض الصدر والقلب والكبد والطحال، وقروح الأمعاء والزحير والمغص والأورام بأنواعها، والقرحة.

الجزآن التاسع والعاشر، في أمراض الرحم وانقلابه، الفتق والبواسير والمثانة والكلى ومجاري البول، والأمراض التناسلية.

الجزآن الحادي عشر والثاني عشر، في أمراض الحيّات والديدان في البطن، البواسير، والنقرس، والدوالي، وداء الفيل، وأورام السرطان والدبيلات.

الجزآن الثالث عشر والرابع عشر، في الرض والفسخ والقروح في أعضاء التناسل المقعدة، وخياطة البطن، والمرافق والحاروق والكلي والخلع والكسر، والويْ وأوجاع المفاصل، والمرفق، ووصف الأدوية الملطفة.

الجزآن الخامس عشر والسادس عشر، في الحميات والبراز والقيء والأمراض الحادة، والأوبئة الحادة، والأوبئة والغشي وأمراض الكلى والبول والجدري والحصبة والطواعين، والعلامات الفارقة بين الأمراض الوافدة.

الجزآن السابع عشر والثامن عشر، مواصلة للحميات والأوبئة، بما في ذلك علامات الجدري والحصبة والفوارق بينهما، والبحران وأنواعه.

الجزء التاسع عشر، في البول وأصنافه وألوانه وقوامه، والسموم والترياقات.

الجزآن العشرون والواحد والعشرون، في الأدوية المفردة من الاقحوان إلى الياسمين، على ترتيب الحروف الأبجدية، مع ذكر الأسماء والأوصاف والاستعمالات والمقادير المستعملة.

وحين كان ينفرد المؤلف برأيه المبني على مشاهدته واختباراته وملاحظاته، كان يقول "لي" وأحياناً يذكر أحداثاً وحالات عاناها وعالجها في البيمارستان (ولعله بيمارستان بغداد) [٤٢]. ومع ندرة الكتب المنسوخة آنذاك فإن الإقبال على دراستها كان مشجعاً شرقاً وغرباً. وأول من نشر الحاوي الكبير باللغة اللاتينية، فرج بن سالم، الطبيب الإسرائيلي في جزيرة صقلية، أكمل الترجمة على مدى سنين طويلة، وأكمل الكتاب كاملاً عام ١٢٧٩م. وقد أهداه إلى الملك شارك أنجو، وهي النسخة التي نقلت وطبعت بعد اختراع المطبعة الميكانيكية، وكان ذلك في بداية البندقية بايطاليا عام ١٤٨٣، فكان أول كتاب كبير موسوعي طبي في عالم الطباعة عامة. وقد سبقه بين المجلدات الأخرى الكتاب المقدس، بعهدية القديم والجديد، وتكررت طبعات كتاب الحاوي باللاتينية لاشتهاره المنقطع النظير في البلاد الأوروبية عامة. فتبعته طبعة مدينة برسكيا عام ١٤٨٦م، وأعيد طبعه أيضاً في البندقية تكراراً في العقد الأخير من القرن الخامس عشر، وطبعات لاحقة في القرن

(٤٢) لقد فحصت في غضون سنين عدة مخطوطات في برنستون بأمريكا، واسطنبول، ومنتريال (مكتبة اوسلر) مكجيل، ودار الكتاب بالقاهرة وغيرها.

السادس عشر أيضاً. واستمرت الطبعات والشروح والاقتباسات في لغات أوروبية، حتى القرن التاسع عشر [٤٣]. ونكرر الشكر للدكتور محمد عبدالمعيد خان لأريحيته في تحقيق الحاوي بحيدر آباد بالهند؛ ويرجى للطبعة الثانية، بعد التنقيح والتقييم، أن تنشر في حلة قشيبة ورقاً وطباعة وتجليداً.

السيرة الفاضلة:- أختم هذه المقالة بتقييم مقتضب لكتاب فريد، طالما أُهمل بعض الشيء بين مؤلفات الرازي، وهو كتابه **في السيرة الفلسفية** وفيها يبين بأسلوب جذاب ورصين انتقاد الأطباء له بعدم مسايرتهم وتقليدهم، في ما يجب أن يكون عليه سلوك العلماء والأطباء، وخاصة في مسلكهم كفلاسفة حكماء دون محاباة أو مرواغة.

وقد أوضح ذلك في مقدمة لهذه المقالة، إذ يبدأها بالقول: "إنَّ أُناساً من أهل النظر والتمييز والتحصيل، لما رأونا نداخل الناس ونتصرف في وجوه من المعاش، عابونا واستنقصونا، وزعموا أنَّا حائدون عن سيرة الفلاسفة، ولا سيّما عن سيرة إمامنا سقراط، والماثور عنه أنه كان لا يغشي الملوك، ويستخفّ بهم أن هم غَشَوه، ولا يأكل لذيذ الطعام، ولا يلبس فاخر الثياب، ولا يبني، ولا يقتني، ولا يُنْسل، ولا يأكل لحماً، ولا يشرب خمراً، ولا يشهد لَهْواً، بل كان مُقْتصراً على أكل الحشيس، والالتفاف بكساء خَلَق، والأيواء إلى جُبٍّ في البرية، وأنه أيضاً لم يكن يستعمل

(٤٣) منذ أواخر القرن الثالث عشر كان بدء ترجمة الكتب الطبية الموسوعة، كالحاوي للرازي، إلى اللغة اللاتينية، وبعد اختراع الطباعة الميكانيكية انتشرت كتب الرازي وغيره من أطباء العرب والمسلمين، وكان الإقبال عليها منقطع النظير، كما نجد من النسخ الموجودة في مكتبات أمريكا وأوروبا.

التقيّة للعوام ولا للسلطان، بل يجيبهم بما هو الحق عنده بأصرح الألفاظ وأبينها. أما نحن فعلى خلاف ذلك. ثم قالوا في مساوئ هذه السيرة التي سار بها أمامنا سقراط إنّها مخالفة لما عليه مجرى الطبع، وقواتم الحرث والنسل، وداعية إلى خراب العالم، وبوار الناس وهلاكهم. وسنجيبهم بما عندنا في ذلك إن شاء الله، فنقول: أما ما آثروه عن سقراط وذكروه فقد صدقوا وقد كان ذلك فيه. ولكنهم جهلوا منه أشياء أُخر، وتركوا ذكرها تعمداً لوجوب موضع الحجة علينا، وذلك أن هذه الأمور التي أثروها كانت منه في ابتداء أمره إلى مدة طويلة من عمره، ثم انتقل عن كثير منها؛ فقد حارب العدوَّ، حضر مجالس اللهو، واكَلَ الطيبات، وإنما كان منه ما أن في بدء أمره لشدة اعجابه بالفلسفة وحبه لها، وحرصه على صرف زمان الشهوات والشغل باللّذات إليها، ومؤاتاة طبعه له على ذلك، واستخفافه واسترذاله لمن لم يلاحظ الفلسفة بالعين التي تستحق أن تلاحظ بها. ولا بدّ في أول الأمور المشوقة المعشوقة، من فضل ميل إليها، وإفراط في حبها ولزومها، وشنآن المخالفين لها، حتى إذا وَغَلَ فيها وقرَّت الأمور به قرارها سَقَطَ الإفراط فيها ورجع إلى الاعتدال. كما يقال في المثل: لكل جديد لذة. فهذه كانت حال سقراط في تلك المدة من عمره وصار ما أُثر عنه من هذه الأمور أشهر لأنه اطرف وأعجب، والناس مولَعُون بإذاعة الخبر الطريف النادر، والاضراب عن المألوف والمعتاد.

فلسنا إذا بمخالفين للأمر الأحمد من سيرة سقراط، وإن كنا مقصِّرين عنه في ذلك تقصيراً كثيراً، ومقرّين بالنقص عن استعمال السيرة العادلة وقمع الهوى، ومحبة العلم و الحرص عليه. فخلافنا إذاً لسقراط ليس في كيفية السيرة بل في

كميتها، ولسنا بمستقصين إن أقررنا بالنقص عنه، إذ كان ذلك هو الحق، كان الإقرار بالحق أكثر شرفاً وفضيلة، فهذا ما نقوله في هذا الموضع.

أما ما عابوه من سيرة سقراط وسيرتي فإنّا نقول: إن المُعيب منها بحق أيضاً كميتها لا كيفيتها، إذ من البين أنه لي الانهماك في الشهوات وإيثارها الأمر الأفضل الأشرف، على ما بيّنّا في كتابنا **(في الطب الروحاني)**، لكن الأخذ من كل حاجة بمقدار ما لا بُدّ منه، أو بمقدار ما لا يجلب ألماً. ونحن وإن كنا غير مستحقين لاسم الفلسفة بالإضافة إلى سقراط، فإنا مستحقون لاسمها". فالرازي علِم بريائهم وكبريائهم، فأصلح وأرشد حسب الأصول والمنطق السليم، ولزم حدّه كطبيب مخلص شريف، وأيضاً كفيلسوف اجتماعي واعٍ ومتزن، يعطى كل ذي حق حقه. بالنسبة لإيمانه واتقائه، فيقول: " إن لنا حالة بعد الموت حميدة أو ذميمة. حسبما كانت سيرتنا مدة كون أنفسنا مع أجسادنا، إمام الديان العادل، فهو الحبيب، وأولى الأشياء أن ينتفع المرء بعلم العلماء ولا يلتفت إلى سيرتهم. ليكن على مثل ما يقول الشاعر:

أعمل بعلمي فإن قَصَرْتُ عملي

يَنْعفكَ علمي ولا يضرُرْكَ تقصيري [٤٤].

خاتمة حول العبادي والرازي:-

(٤٤) السيرة الفلسفية، تصحيح وتقديم بول كراوس وترجمة عباس إقبال ومهدي محقق، طهران، ١٩٦٤، انظر: مثلاً ص٩٠-١٠٣ مطبوعات جامعة طهران، وآرثر اربري، **المجلة الأسيوية** (بالإنكليزية)، عدد ١٦٣ (١٩٤٩) ص٧٠٣- ١٣ (ج٤٥).

صنوان في العلم والفصل والأخلاق الحميدة، مع الاجتهاد والمواظبة والعمل المجدي والخدمة المتفانية، وضعاً أساساً متيناً لنهوض المهن الطبية عند العرب والمسلمين، امتد أثره مئات السنين. فالعبادي ومدرسته في بيت الحكمة نقلوا الكتب الطبية والفلسفية القديمة بدقة وأمانة وإجادة، حتى بدت اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، بترجماتهم ونقولهم أفضل اللغات وأمجدها، وأوسعها منطوقاً ومقروءاً عّدة قرون. كما أن حنين العبادي أيضاً أغنى العلوم الطبية بما ابتدعت قريحته من تصانيف فريدة رائدة، قادت هذه المهنة –وممارسيها في طريق معبّد واضح السبيل للنهوض والإبداع.

أما أبو بكر الرازي فكان طبيباً فيلسوفاً فريداً بين الأطباء الفلاسفة؛ حارب التقليد والرياء، وعمل ليل نهار لرفع مستوى المهنة، ورسم أصول ممارستها في أحسن مرتبة. لكن حُسّاده حاكوا مكيدة له للإيقاع به في الخفاء، وانتحلوا كتباً تمسّ به في دينه وإيمانه؛ فدافع عن حرية الرأي، وتمسك بالحقيقة، وشجّع المعرفة البناءة، وحارب المظاهر الزائفة والمقلّدين العميان ورد على الجاحظ في نقض الطب، ووقف بوجه المعتزلة، واعترف بأن الكون لم يصوّر ويرسم بالصدفة والارتجال، بل أن له خالقاً حكيماً مبدعاً، وأن أمور الإنسان لا تقع بالاتفاق. وقال بأن الحقيقة في الطب غاية لا تدرك، مع أنه قضى حياته العملية في ممارسة المهنة والتثقيف الصحي، ووافق على النتائج التي تشهد عليها التجارب والتي تكون موقوفة لها، وينبغي للمريض أن يَقْتَصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء، فخطأه في جنب صوابه يسير جداً، ومن تطَبّب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم، وقد وضع نظاماً فلسفياً في الطب الإسلامي يعبر

عن واقع الحياة الفاضلة ومكارم الأخلاق، لرفع مستوى العلوم الصحية مهنياً وعلمياً واخلاقياً؛ وكطبيب معالج تشخيصي سريري، سار طيلة حياته العملية في طريق تأمين العناية الكاملة بالمريض، والجلوس بجانب سريره، ومساءلته، وتسجيل الملاحظات والمشاهدات والاختبارات بإمانة، مع التمسك بالروح العلمية التي جعلته على ا ستعداد دائم للاعتراف بالخطأ ليصلحه، وأن يأخذ برأي جديد أكثر صواباً ودقة مما يصح معه البرهان والتجربة. وكان سبيله دائماً، ليس إصابة اللذات الجسدية، بل اقتناء العلم، واستعمال العقل اللذين بهما يكون النجاح والخلاص من عالم فإن إلى عالم أفضل؛ فإن الطبيعة والهوى يسلماننا إلى إيثار اللذة الحاضرة، أما العقل والإيمان والبصيرة الروحية فتدعو منه نرجو الثواب ونخاف العقاب". كما بَيّن الرازي؛ والنظر لنا رحيم بنا، لا يريد إيلامنا، ويكره لنا الجور والجهل، ويحب لنا العلم والعدل، وسيكون مغبوناً من اشترى لذة بائدة زائلة بلذة باقية، ليكون الرازي، حسب تعبير ابن النديم، الذي امتحده بعد وفاته بستين عاماً بقوله أنه "كان أوحد دهره وفريد عصره... كريماً باراً بالناس، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاّء" ولتكون مآثره الجمة خالدة [٤٥].

د. سامي خلف حمارنة

كلية الصحة العامة- جامعة اليرموك

إربد - الأردن

(٤٥) المرجع السابق نفسه، السيرة الفلسفية، ١٩٦٤، ص٩٠-٩٥.

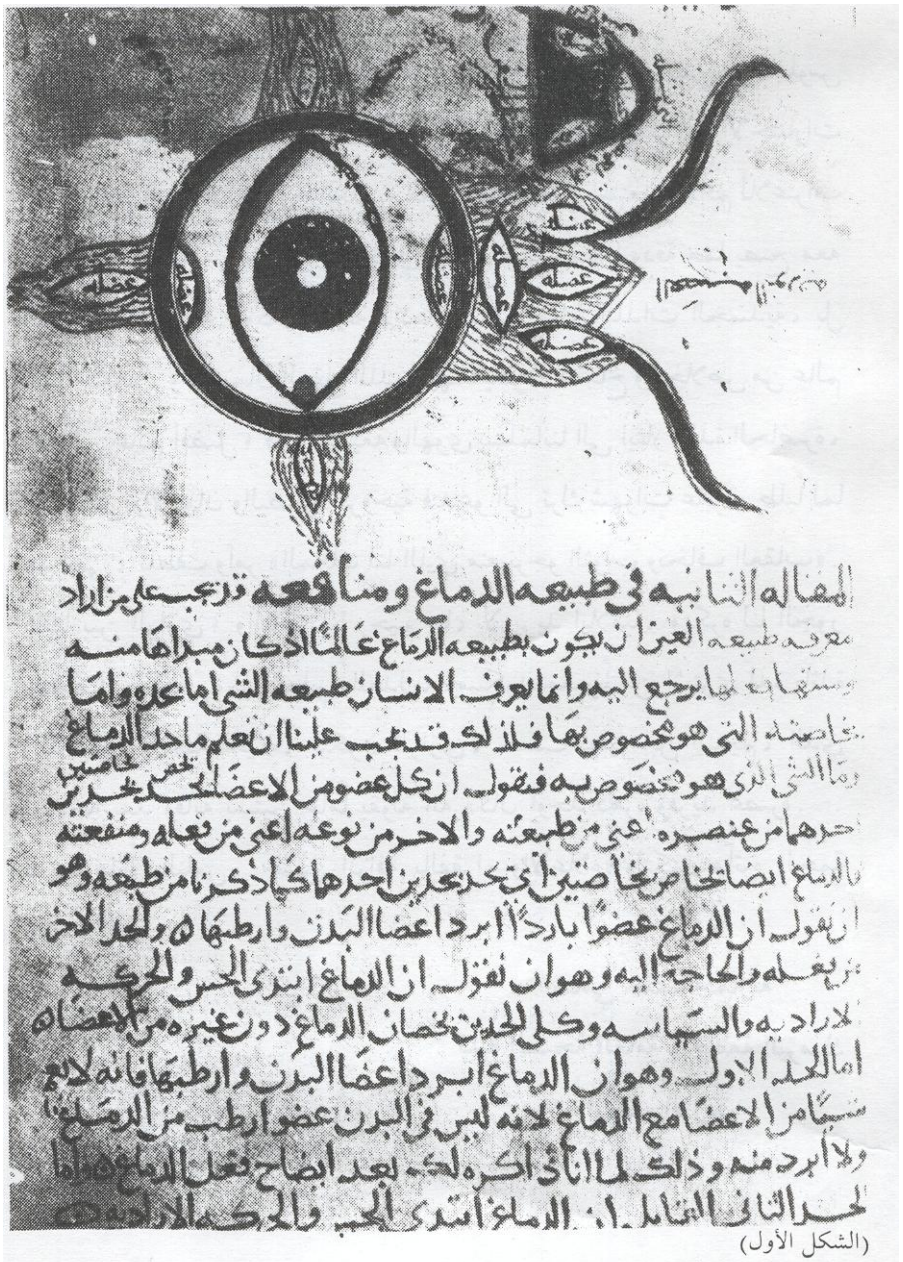

(الشكل الأول)

هذا هو الرسم الاول من نوعه في تاريخ تشريح العين، من وضع العبادي في كتابه «عشر مقالات في العين» المحفوظ في المجموعة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة، كان تحقيقه عام ١٩٢٨م.

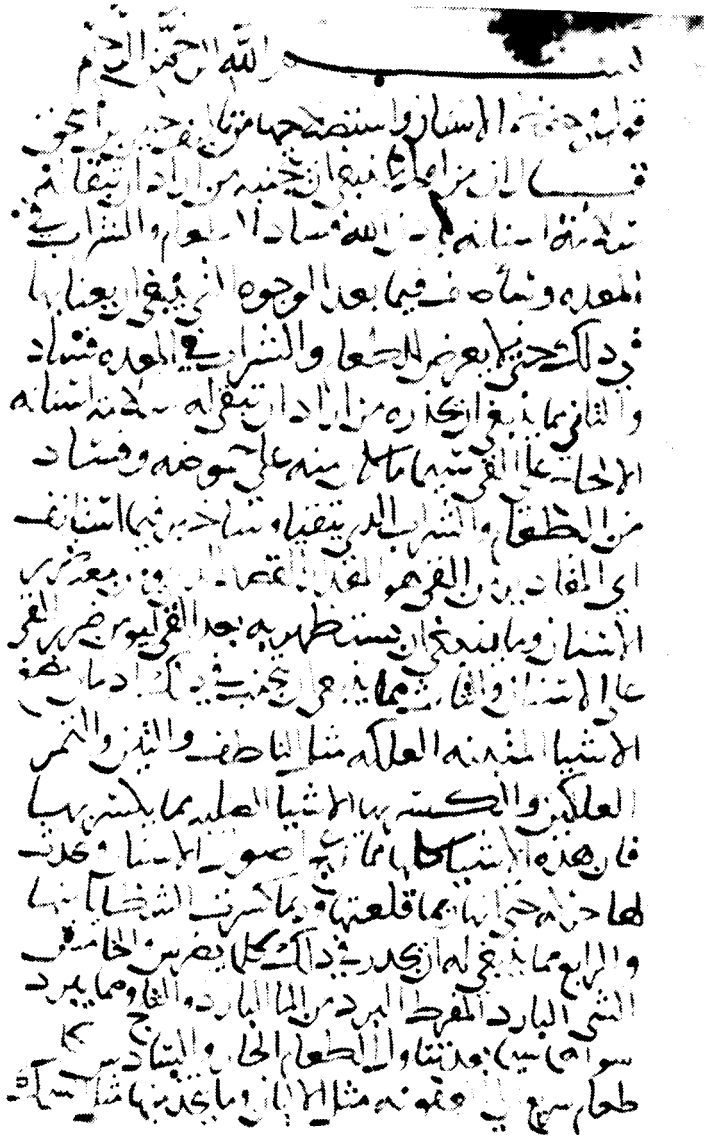

(الشكل الثاني)

هذه صفحة الافتتاحية لمخطوط بعنوان «قول في حفظ الاسنان واللثة واستصلاحها»، فُحِصَتْ لأول مرة في صيف عام ١٩٦٤، وقد تَمَّ النشر في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الطب والصيدلة، بمطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٩م من وَضعْ مؤلِّف ورقة العمل هذه.

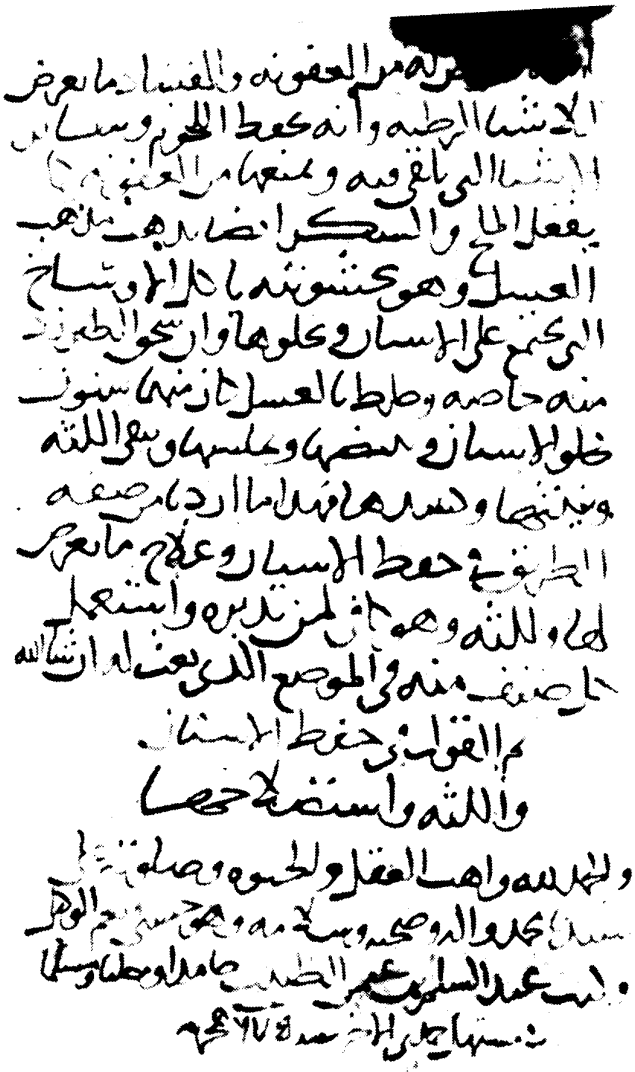

(الشكل الثالث)

في هذه الصفحة الختامية من كتاب صغير هو الاول من نوعه في تاريخ طب الاسنان والعناية بصحتها وسلامتها، من وَضْع الترجمان الطبيب ابو زيد حنين بن إسحق العبادي (١٩٤ ـ ٢٦٠هـ / ٨٠٩ ـ ٨٧٣م)، محفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٤٥١٦، حمارنة ٦ ط).

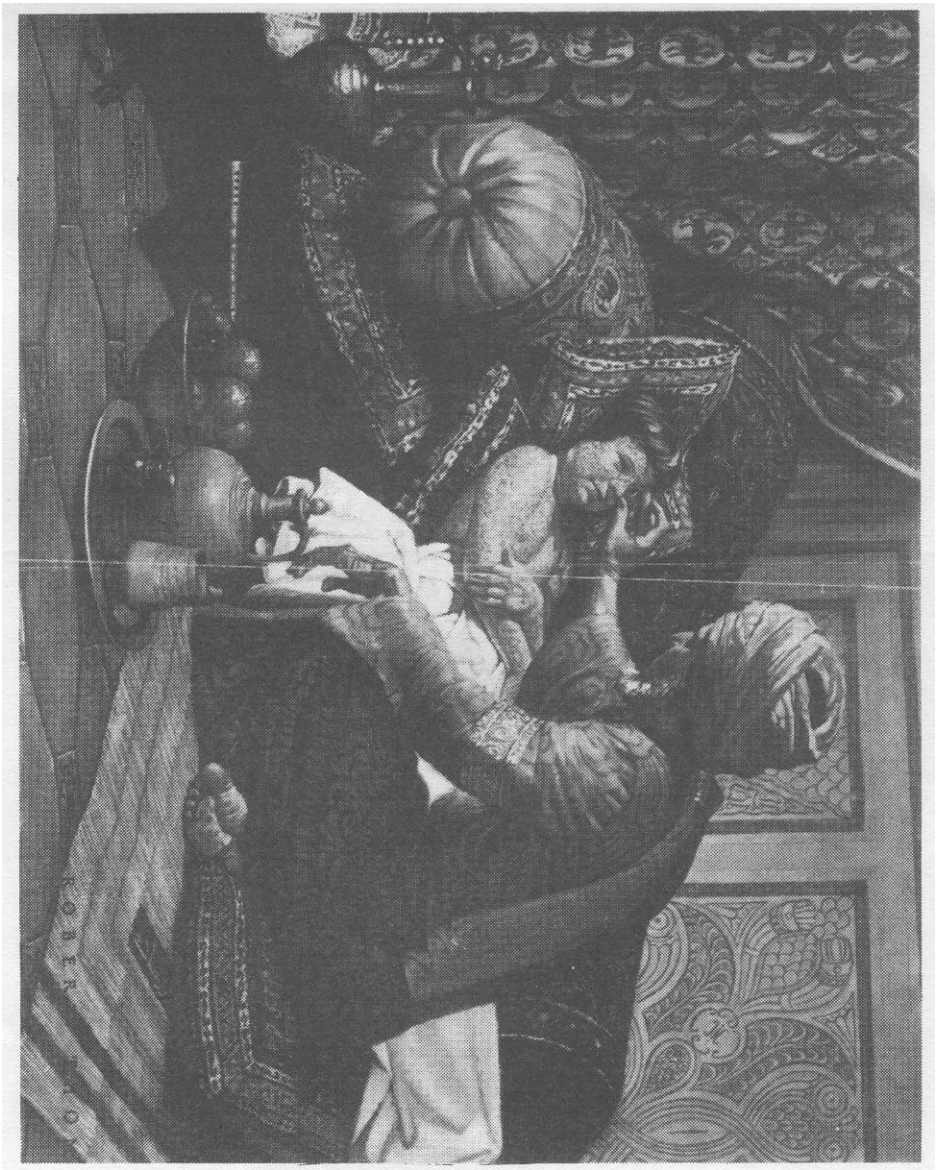

(الشكل الرابع)

تصوير للطبيب السريري العبقري ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١ ـ ٣١٣هـ ٨٦٥ ـ ٩٢٥م) تمثيلا لمقالته الذائعة الصيت في الجدري والحصبة، في مجموعة من الرسوم والوثائق والشروح، قام بتأليفها صديقنا الدكتور جورج بندر المقيم حاليا في(أريزونا بامريكا، ننشرها عرفاناً بالجميل.

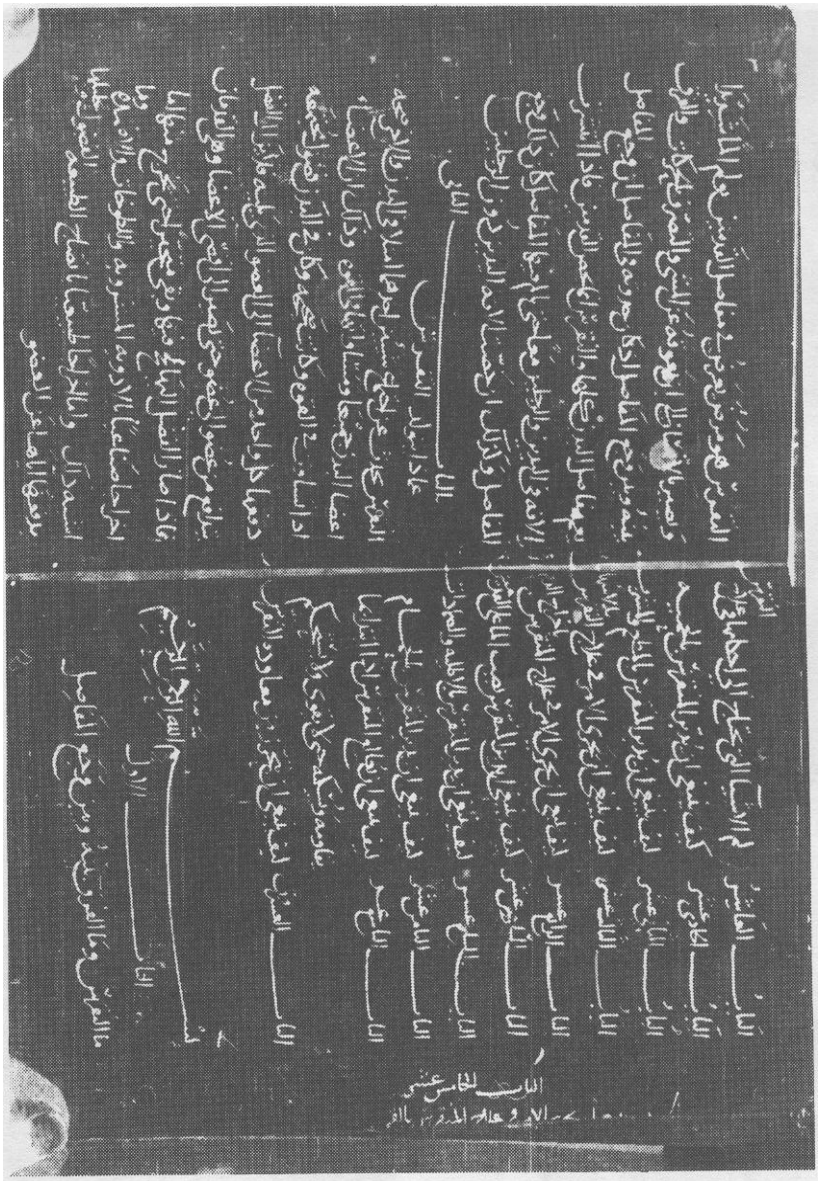

(الشكل الخامس)

هذه صورة للصفحة الختامية لمقالة، «اوجاع المفاصل والنقرس» للرازي في المخطوط رقم ٦٤١٨ المحفوظ بمكتبة البلدية بالاسكندرية، بمصر، ننشرها عرفانا بالجميل لاهمية هذ البحث حتى في عصرنا الحاضر واحياءً للتراث العربي في الطب والعلوم.

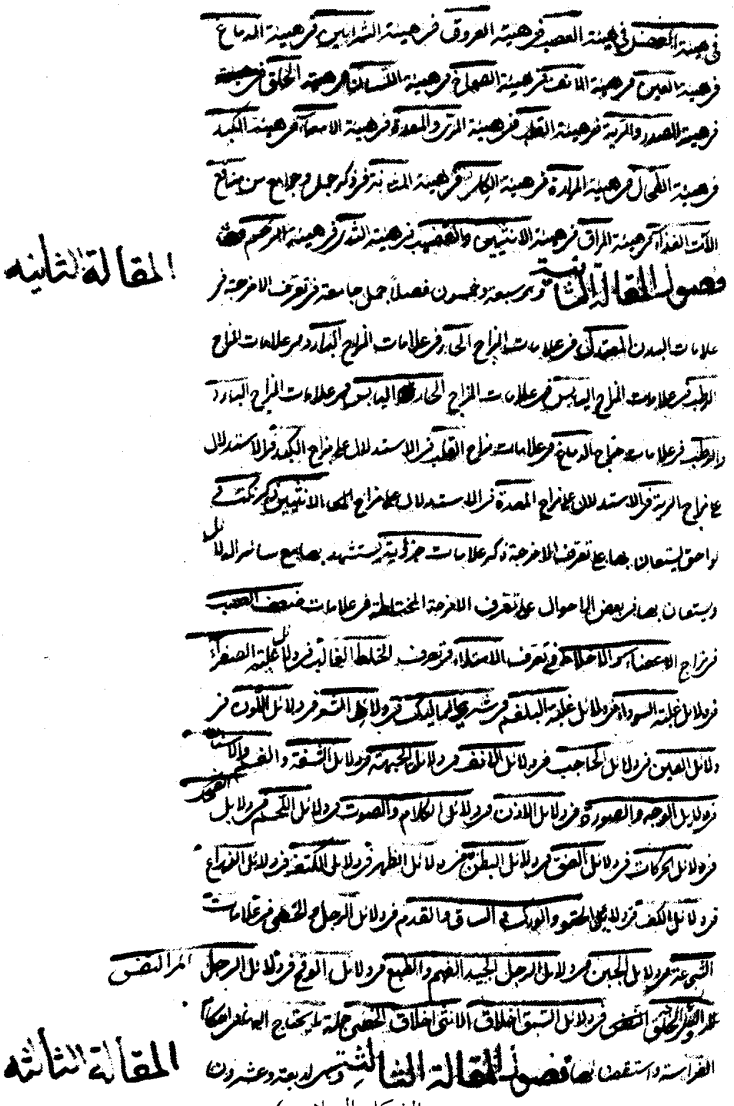
المقالة الثانية

(الشكل السادس)

من أشهر تصانيف الرازي الطبية كتابه المنصوري في الطب، أهداه للامير ابي يعقوب منصور ابن اسحق السامـاني صاحب الري حوالي ٢٩٣هـ. وفي هذه الصفحة تصوير لبعض محتوياته (وفي كاملها عشرة مقالات)، وهي من نسخة مخطوط رقم ٢٨أ المحفوظ في المكتبة الوطنية الطبية بضواحي العاصمة الاميركية معترفين بالفضل (وتاريخ النقل ١٠٧٨هـ).